هزليات أبي تمام

شرح وتحقيق

عبد السلام محمد هارون

دار الجيل

بيروت

همزيات أبي تمام

[redacted]

شرح وتحقيق

عبد السلام محمد هارون

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أبو تمام :

هو حبيب بن أوس الطائى . كان مولده بقرية "جاسم" من قرى دمشق . وكنى أبا تمّام باسم ولده "تمّام" . وكان تمّام شاعرا . وظريفاً من الظرفاء (١) .

ونشأ أبو تمّام بمصر . وقيل : إنّه كان يسقى النّاس ماءً بالجرّة فى جامع مصر (٢) . واتصل فيها بعياش بن لهيعة ، ومكث عنده سنة (٣) . وكانت مدة إقامته فى مصر أكثر من خمس سنوات (٤) .

وقد مدح عياش بن لهيعة أوّلَ الأمر ، ومما قاله فيه :

وأنت بمصر غايتى وقرابتى ... بها وبنو أبيك فيها بنو أبى

ولكنّه لمّا تنكّر له ، ويئس من عطائه ، هجاه هجاءً مرّا .

وتجاوزت شهرة أبى تمّام مصر إلى بغداد والبصرة ، وتنقّل فى البلاد ، ورحل إلى عبد الله بن طاهر فى خراسان ومدحه .

وكان أبو تمام راوية عالماً بالشعر ، قيل أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب ، غير القصائد والمقاطيع .

---

(١) انظر أخبار أبى تمام للصولى ٢٦١ — ٢٦٢ (٢) ابن خلكان (١ : ١٢٣)

(٣) قال فى ذلك (الديوان ٣٩٧) :

حول ولم ينتج نداك وإنما ... تتوقع الحبلى لتسعة أشهر

(٤) وفى ذلك يقول (الديوان ٤٣١) :

أخمسة أحوال مضت لمغيبه ... وشهران بل يومان ثكل من الثكل

ولم يزل شعرُه غير مرتّب ، حتّى جمعه أبو بكر الصولى (— ٣٣٥) ورتّبه على الحروف ثمّ جمعه على بن حمزة الأصفهانى ، ولم يرتّبه على الحروف بل على الأنواع (١) .

وأكثر شعره فى المديح ، حتى ليبلغ ذلك نحو ثلثى شعره .

قال تمّام : « مولد أبى سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات فى سنة إحدى وثلاثين ومائتين (٢) » .

وكانت وفاته بالموصل ، ورثاه الحسن بن وهب بقوله :

سَقى بالموصل القبرَ الغريبا   سحائبُ ينتحبن له نحيبا

أبو تمام والبحترى :

لأبى تمّام كبيرُ فضلٍ على البحترىّ ، فهو الذى رعاه وأخذ بضبعه ، حتى نَبَهَ وطار ذكره .

قال البحترى (٣) : « كان أول أمرى فى الشعر ، ونباهتى فيه ، أنّى صرت إلى أبى تمّام ، وهو بحمْص ، فعرضت عليه شعرى . وكان يجلس فلا يبقى شاعرٌ إلاّ قصده وعَرض عليه شعرَه . فلمّا سمع شعرى أقبل علىّ وترك سائر النّاس ، فلمّا تفرّقوا قال : أنت أشعر من أنشدنى ، فكيف حالك ؟ فشكوت خَلّةً ، فكتب لى إلى أهل معرّة النعمان ، وشهد لى بالحذق . وقال : امتدحْهم . فصرتُ إليهم فأكرمونى بكتابه (٤) ، ووظّفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكان أوّل ما أصبتُه » .

وكان البحترىّ يتبع أبا تمّام فى شعره ، ويتأثّره ويأخذ منه (٥) . فمن ذلك قول أبى تمّام :

البيد والعيس والليل التمام معا   ثلاثة أبداً يُقرنَّ فى قرَنِ

فقال البحترىّ :

اطلبا ثالثاً سِواىَ فإنّى   رابعُ العِيسِ والدُّجَى والبيدِ

(١) الخزانة (١ : ١٧٢ بولاق ٣٢٣ سلفية)
(٢) الصولى ٢٧٣
(٣) الصولى ٦٦
(٤) هذه سابقة قديمة فى الوساطات الأدبية
(٥) انظر الصولى ٧٦ — ٨٨

وقال أبو تمّام :

تفيض سماحةً والمُزْن مُـكْدٍ وتقطع والحسامُ العضبُ نابِى

فقال البحترى :

يتوقّدن والـكواكبُ مُطْفا ةٌ ويقطعن والسيوفُ نوابى

وغير ذلك كثير. وقد عُوتب البحترىّ فى ذلك فقال [١] : « أيُعابُ علىَّ أن أتبع أبا تمّام ، وما عملت بيتاً قطُّ حتّى أخطرتُ شعره ببالى ؟ ! » .

وكان يُعجَب بعقل أبى تمّام وأدبه، فوق إعجابه بشعره . قال علىُّ بن إسماعيل النوبختىّ : قال لى البحترى [٢] : « والله يا أبا الحسَن ، لو رأيت أبا تمّام الطائىّ ، لرأيتَ أكمل النّاس عقلاً وأدبا ، وعلمتَ أنّ أقلّ شىء فيه شعره ! » .

فهذه النصوص تفصح لنا عن سرّ العلاقة بين شعر الرجلين ، والتشابه القريب بينهما .

صنعة أبى تمام :

لم يكن بدٌّ للشعراء المحدثين أن ينظروا فى معانى الأوّلين ، وينعموا النَّظر ، ويأخذوا منها شيئاً يصبغونه بالإجادة والتحسين ، فيستوى لهم من ذلك فنٌّ قوىٌّ رائع .

ولقد كانوا يتحدّثون بقول امرئ القيس فى صفة عُقاب :

كأنّ قـلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنّاب والحشف البالى

ويقولون : لم يقدر أحدٌ بعده أن يشبّه شيئين بشيئين فى بيت واحدٍ على هذا النّحو — حتّى جاء بشارٌ الأعمى بقوله :

كأنّ مثار النّقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

فتناشده الناس وعجبوا لهذه الصورة ، التى رسمها رجلٌ لم ير دُنياه ، ولا ليلها ولا الكواكب .

(١) الصولى ٧٠

(٢) الصولى ١٧١ — ١٧٢ .

ولكن بشّاراً اعتبر فيما صوّر معنًى بمعنًى ، وقولا بقول .

ولقد نظر أبو تمّام فى شعر العرب طوّيلا ، واختار منه اختياراً دلّ على دقّة الذوق ، وبراعة الانتقاء ؛ ففى ديوان الحماسة ، وفى الوحشيات[1] ، من مقطّعات الشعر ، ما لا تستطيع أن تنفى منه إلاّ القليل النّادر .

ونظر فأعجبه هذه الصناعةُ البديعية ، التى كانت تبدو حيناً فى البيت والبيتين من قصائد الأوّلين ، فذهب يُشيع البديعَ فى شعره حتّى ما يسلم له الاما هو أقلّ من الرّبع ، فيما أحسب . وهى مقدرة عجيبة حقاً ، ما تكون إلا لصَناعٍ فحل ، يستطيع أن يلائم بين بديع المعانى وبديع اللفظ . وهو ينوّه بهذا المذهب فى قوله ينعت شِعره :

إنّ الجياد إذا علتها صنعةٌ راقت ذوى الآداب والأفهام

لتزيُّد الأبصار فيها فسحةٌ وتأمُّلٌ بإشـــارة القُوّامِ

وقد سبقه ممّن عرف بهذه الصناعة البديعية مسلم بن الوليد ، وأبو نواس . وكان أبوتمّام يكثر من قراءتهما ، ويترسّم مذهبهما . قال أحمد بن طاهر[3] : « دخلت على أبى تمّام وهو يعمل شعراً ، وبين يديه شعر أبى نواس ومسلم » .

ولعلّ لنشأته فى مصر ، أثراً كبيراً فى هذا الفنّ البديعىّ ، الذى كان قوامه الجناس ، والتورية ، ومراعاة النظير . ولاتزال مصر وأهلها يولعون بهذا فى حديثهم وتنادرهم وأمثالهم.[4] ومما يجدر ذكره أن أبا تمّام أوّل من استعمل كلمة " الاستطراد " فى علم الشعر .[5]

---

(١) وهى المشهورة بالحماسة الصغرى ، جمعها بعد الحماسة الكبرى ، وتنسيقهما واحد ، ومنها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية .

(٢) الصولى ٢٢٤

(٣) الصولى ١٧٣

(٤) انظر الأمثال المصرية التى أوردها الأبشيهى المصرى (٧٩٠ — ٨٥٠) فى كتابه المستطرف ١ : ٣٣ — ٣٩ مما لا يزال معروفاً متداولا إلى وقتنا هذا .

(٥) انظر نص الحاتمى فى شفاء الغليل فى رسم « استطراد » والأغانى (١٨ : ١٧٢) .

وأصل الاستطراد فى اللغة أن يفرّ الفارس من بين يدى قِرنه ، يوهمه الانهزام ، ثم يعطف عليه على غرّة منه ، مكيدةً له .

علو شعره :

لعلّ شعر أبى تمّام أوعر شعر للمحدثين . و يعترف الصولىّ بذلك فى كتابه [1] ، ويقول حين عرض لشعر بشّار وأبى نواس ومسلم : إنه « أصعبهم شعراً » . و يَرْوِى أنّ الحسن ابن وهب قال [2] : « قلت لأبى تمّام : أفهِم المعتصم بالله من شعرك شيئاً ؟ قال : استعادنى ثلاث مرات :

وإن أسمج من تشكو إليه هوىً　　من كان أحسنَ شىء عنده العذَل

واستحسنه » .

و يروون أنّ أبا العميثل الأعرابىّ ، أنكر على أبى تمّام قوله :

أهُنَّ عوادى يوسف وصواحبه　　فعزماً فقِدماً أدرك النُّجح طالبهُ

وقال له : لِمَ لا تقول ما يفهم ؟ فقال لأبى العميثل : لم لا تفهم ما يقال [3] ؟ !

وأنّ ابن الأعرابىّ كان شديد التعصّب على أبى تمّام ؛ لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يَرِدُ عليه من معانيه مالا يفهمه ولا يعلمه . فكان إذا سُئل عن شىء منها يأنف أن يقول : لا أدرى . فيعدل الى الطعن عليه [4]

و يقول أبو عمرو بن أبى الحسن الطوسى [5] : إن أباه وجّه به الى ابن الأعرابى ليقرأ عليه أشعاراً ، فقرأ عليه من أشعار هذيل ، ثم قرأ عليه أرجوزة لأبى تمّام على أنها لبعض شعراء هذيل . وهى [6] :

(١) أخبار أبى تمام ١٥ س ٣
(٢) الصولى ٢٦٧
(٣) هبة الأيام ١٣٤ والصّولى ٧٢ والموازنة ١٠
(٤) الموازنة ١١
(٥) الصولى ١٧٥
(٦) الصولى ١٧٥ والموازنة ١١. والأرجوزة فى الديوان ٥٠٤

وعاذل عذلتــه فى عذله ... فظنّ أنّى جاهلٌ من جهله

حتى أتمها. فقال ابن الأعرابى: اكتب هذه! فقال أبو عمرو: أحسنةٌ هى؟ قال: ما سمعت بأحسن منها! فقال أبو عمرو: إنّها لأبى تمّام! قال: خرِّقْ خرِّقْ!!

فهذا كلّه دليلٌ أن شعره كان يستعصى على فحول اللغويّين وأصحاب معانى الشعر، وأن الرجل قد علا بشعره فوق مستوى أوساط الأدباء[٢]

ومرجع ذلك فيما أرى إلى أسباب أربعة يأزر بعضها بعضاً:

أولها: ما التزم أبو تمّام من صنعة البديع، التى أغرَق فيها إغراقاً، وخاصّة فن التورية التى تستدعى انتباها خاصاً.

وثانيها: ميله الى الجزالة اللفظية والتأليفية أعنى جزالةَ الأسلوب، فكثير من ألفاظه قد تفوت ما وصل إلينا من معاجم، وكثير من أساليبه يسجح فيها على منوال المُغْربين من الأعراب، حتّى ليظنّ المتعجِّل أنّ الرجل قد أخطأ، وهو على عين الصواب.

وثالثها: فيضان شعره بالإشارات التاريخيــة، وإلماعه بالأمثال الغريبة التى تشير إلى أدب نادر. ثم إن أبا تمّام رجلٌ واسع الثقافة، كما يبدو من شعره. وقال محمد بن يزيد المبرد[٣]: "ما سمعت الحسن بن رجاء ذكر قطُّ أبا تمّام إلاّ قال: ذاك أبو التّمَام. وما رأيت أعلمَ بكلِّ شيءٍ منه".

وهو يتحدَّث عن كثير من المعانى التى لا يكشفُها إلاّ فيلسوف، أو متكلِّم، أو عالم دينىّ، أو مؤرِّخ، أو فلكىّ، أو منطقىّ، أو من ينتمى إلى هؤلاء بصلة:

جَهْمية الأوصاف إلاّ أنّهــم ... قد لقّبوها جوهَرَ الأشـياء

عمريّ عُظْمِ الدِّينِ جهميّ الهوى ... ينـفِي القُوَى ويثبِّت التكليفـا

(١) انظر الصولى ١٢ : ٣ — ٧

(٢) الصولى ١٧١

لو رأينا التوكيد خطّـــةَ عجز   ما شفعنـا الأذانـ بالتثويب
مضئية نطقت فينـا كما نطقت   ذبيحــة المصطفى موسى لذابحهـا
إذا افتخرت يوماً تَميم بقوسهـا   وزادت على ما وطّدت من مناقب
وكيف وعتبُ يومٍ منك فــذٍ   أشدُّ عليَّ من حرب الفَساد
فأنت العليم الطَّبُّ أيُّ وصيةٍ   بها كان أوصى فى الثياب المهلّب
لا نجم من معشرٍ إلا وهِمّتُه   عليكِ دائرة يا أيهـــا القطب
المجد لا يرضى بأنـ ترضى بأن   يرضى امرؤٌ يرجوك إلا بالرِّضا

وأنت تسمع البيت الآتى فلا ترتاب أنه لأحد النحاة ، وهو لأبى تمّام :

خرقاء يلعب بالعقــول حَبابُها   كتلاعب الأفعـــال بالأسماء

ورابعها : ذكاء أبى تمام وحدة خاطره . ويروون أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته التى مطلعُها :

ما فى وقوفك ساعــةً من باس   نَقضى ذِمام الأربُــع الأدراس

وبلغ إلى قوله :

إقدام عَمرو فى سماحة حاتمٍ   فى حلم أحنَفَ فى ذكاء إياسِ

قال له أبو يوسف يعقوب بن الصباح الـكندى الفيلسوف — وأراد الطعن عليه — : الأمير فوق من وصفت ! كيف تشبه ولد أمير المؤمنين بأعراب أجلاف ، وهو أشرف منزلة ، وأعظم محلة ؟ ! فأطرق أبو تمام ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضربى له مَنْ دونَه   مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلَّ لنوره   مثلاً منـ المشكاة والنبراس

واستمرّ فى إنشاده حتى أتمَّ القصيدة . ولـمّا أخذت من يده لم يجدوا فيها البيتين . فعجبوا من سرعة فطنته (١) .

---

(١) الصولى ٢٣١ وهبة الأيام ٢٢ – ٢٥

وذكاء أبى تمّام هو الذى مكّنه من النّجاح فى هـذه الصناعة الدقيقة التى سلكَ فى شعره . وقد بلغ من إعجاب أحد ممدوحيه — وهو الحسن بن رجاء — أنّه لمّا سمع قوله :

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغنَى فالسيل حربٌ للمكان العـالى
وتنظّرى خببَ الرِّكاب ينصُّها محيي القريضِ إلى مميت المالِ

قام وقال : والله لا أتممتَها إلاّ وأنا قائم (١) !

همزيات أبى تمام :

لقد كنت من أشدّ الناس عزوفاً عن أبى تمّام ، وكانت نفسى لاتطمئنّ إلى شعره بَلْه أن تكلف به . فلمّا بلوت شعرَه ورُزْته ، ونقبتُ فيه لتأويل بعضه ببعض ، نجم لى فيه مذهب غير الذى كنت أذهب ، وعلمت أنّ هذا الشاعر الشابّ قد أودع شعره كنوزاً من المعانى ، وألبسه من فنّ اللفظ حُللاً روائع ما يَبلَيْن .

وكنت على أن أفسّر جميع ديوانه فى بسطٍ وإطناب، ولكن حال دون ذلك حربٌ عقام ، تَعذّر معها إعداد العُدّة لمثل هذا الأمر الجليل ، فاكتفيت فى ذلك بشرح همزياته فى جميع الأبواب ، وهى من عيون شعره ، إلى أن تسنح فيما بعد الفرصة فأفرغ لسائره بعون الله . ومن الله التوفيق .

منشية البكرى
غرة جمادى الأولى سنة ١٣٦١

عبد السلام محمد هارون

(١) الصولى ١٦٨

باب المديح

١

قال يمدح خالدَ بن يزيد الشَّيبانى* لمّا أراد المعتصمُ نفْيَه ، فرغب خالد فى أن يكون خروجُه إلى مكّة ، فأجيب إلى ذلك ، ثم شفع فيه أحمد بن أبى دُؤاد ، فشفّعه وأعفاه من الخروج ، واستقرّ على حاله :

١ يا مُوضِعَ الشَّدَنيّةِ الوَجْناء ومُصارِعَ الإِدلاجِ والإِسْراء

---

* هو خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة بن مَطَر بن شريك بن قيس بن شراحيل ابن همَّام بن مُرّة بن ذُهل بن شيبان ، الشيبانى . ولأبى تمام فيه وفى ولده محمد مدائح كثيرة . وكان والى الموصل وديار ربيعة فى زمان المأمون . وقد اضطربت حياته أيام المعتصم . ومن بعده ولى أرمينية فى أيام الواثق . وأبوه يزيد بن مزيد ، من الأمراء المشهورين . وهو الذى قتل الوليد بن طريف الشارى فى عهد الرشيد ، فقدمه ورفع مرتبته . وعم يزيد هو معن بن زائدة ، الجواد المعروف[1] .

(١) الشدنية : الناقة المنسوبة إلى شدن ، بالتحريك ، وهو موضع باليمن ، أو رجلٌ ، أو فحل كريم وأوضَعَها : سيّرها سيراً سريعاً سهلاً . والوَجْناء : الضخمة الشديدة . والإِدْلاج : السَّير فى أول اللّيل . والإِسراء : سَير عامّة الليـل . وصارعهما : غالَبهما وتحمَّل مشقّاتِهما .

---

(١) هبة الأيام ٢٠٧ — ٢١٢

٢ أقْرِى السَّلامَ معرِّفاً ومُحصِّباً   من خالدِ المعروفِ والهَيْجاء

٣ سيلٌ طمَى لو لم يذُدْه ذائِدٌ   لتَبَطَّحتْ أُولاهُ بالبَطْحاء

٤ وغَدت بُطونُ مِنًى مُنًى من سَيْبِهِ   وغَدَا حَرًى منه ظهورُ حِراء

(٢) أقرى السّلام : أى أبلغه . وأصله أقرىء بالهمزة فحذفت للشعر . وأقرأه كأنه حين يبلغه السلام يحمله على أن يقرأ السلام ويردّه ، كما تقول : أقرأنى فلان ، أى حملنى على القراءة وقد وهِم من خطّأ أبا تمّام فى هذا[1] . معرِّفاً ومحصِّباً : أى إن دخلت عرفات والمحصَّب ، وهما من مشاعر الحج . ومن خالد المعروف : أى أقرئْ أهل مكة السلام من خالد . و إضافة خالد إلى المعروف والهيجاء تفيد المبالغة ، كما تقول حاتم الجود ، وأحنف الحلم . والهيجاء : الحرب

(٣) يقول : هو فى جوده سيلٌ طمَى وارتفع ؛ لو لم يُعْقه عائقٌ ويمْنَعْهُ من المضىّ فى سبيله ، لاندفعت أوائلُه فى البطحاء وسالت عريضةً متّسعة ، فكيف بسائره ؟ ! يشير إلى منْعه من الخروج إلى مكّةَ وحرمانِها من جُوده . والبطحاء : بطحاء مكّة : موضعٌ معروف فيها . وأصل البَطْحاء : المَسِيل الواسع فيه الرّملُ ودقاق الحصى .

(٤) مِنًى : بليدة على فرسخ من مكّة ، بها يَنحَر الحاجّ . والسَّيب : العطاء ، وهو أيضاً مصدر ساب : جَرَى . ففيه تورية . يقول : لو كان أتيح لِه أن ينزل هذا المكان لأصبحت بطونُه ، وهى منخفضاته ، مُنًى يتمنّاها الإنسان ؛ وذلك مما يُغدق عليها من العَطاء ، ولأصبحت ظهور حِراء ، وهو بالكسر ذلك الجبل المقدّس فى مكة ، حَرًى : أى كالحرى . وهو بالفتح : ساحة الدار . فكأنها تصبح بحلوله ساحة مقصودة ، يفِدُ إليها العُفاة وطُلّاب المعروف .

(١) انظر شفاء الغليل (قرأ) وتاج العروس (١ : ١٠١) واللسان (١ : ١٢٥)

٥ وتعرّفت عَرَفاتُ زاخرَه ولم يُخصَصْ كَدَاء منه بالإِكداء

٦ ولَطابَ مرتبعٌ بطَيْبَةَ واكتسَتْ بُرْدَيْن ، بُرْدَ ثرًى وبُرْدَ ثَراء

٧ لا يُحرمُ الحَرَمانِ خيراً ، إنّهم حُرِموا به نَوْءًا من الأَنْواء

٨ يا سائلى عن خالدٍ وفِعالهِ رِدْ فاغْترِفْ عِلماً بغيرِ رِشاء

---

(٥) الإكداء : أن يطلب الرجل الحاجة فلا ينالها . وكداء بالفتح : موضع بأعلى مكة ، أو العقبة الصغرى التى بأعلاها ، أو هو عرفة بنفسها ، كما نقل ياقوت عن القالى(١) . أى ولتحققت عرفات زاخرَ معروفه ، ولم يُصِب الإكداءُ كَداء .

(٦) المرتبع المنزل ينزله القومُ وقتَ الرّبيع . وطَيبة ، بالفتح : مدينة الرسول . والبُرْد ، بالضم : ثوب مخطَّط ، أو أكسية يُلتَحَف بها . وبُرْد الثَّرَى ، عنَى به خُضرة الأرض ونَضرتَها . فكأنّ فيضَ جوده يُخصب هذه البقعةَ ، ويزيد فى ثراء أهلها ويُسْرهم .

(٧) دعا لأهل الحرمين ألا يحرموا خيراً . ثم قال : إنهم حرموا من منعه عن القدوم إليهم خيراً كثيراً وفيضاً غدقاً . والنوء ، بالفتح : المطر الذى ينزل موافقاً لسقوط نجم فى المغرب عند الفجر ، يقولون : مُطِرنا بنوء الثُريا والسِّماك ، وغيرهما : أى بالمطر الذى يكون عند غروبها(٢) .

(٨) الفِعال ، بالكسر : جمع فعل . رِدْ : أمرٌ من وردَ الماءَ : حضره . اغترف : أخذ غُرفةً بيده من الماء ، وذلك للماء القريب . والرِّشاء : أراد به حَبْل الدلو . يقول : أقبِلْ ؛ فعندى من العلم بأفعاله ما يسهِّل عليك أن تحيط به ، وتطَّلع على الكثير منه .

---

(١) انظر القالى (١ : ١٤٩) والتنبيه للبكرى ٥٣ س ١٢ فلعل النقل عن غير الأمالى .

(٢) للآلوسى فى بلوغ الأرب (٣ : ٢٢٨ — ٢٤١) بحث مفصل فى الأنواء .

٩ انظُر، وإيّاكَ الهوَى لا تُمْكِنَنْ سُلطانَهُ من مُقْلةٍ شَوْساء

١٠ تَعْلَمْ كم افترعَتْ صُدُورُ رِماحِهِ وسُيُوفُهُ من بَلْدَةٍ عَذْراء

١١ ودعا فأسمَعَ بالأسنَّة واللُّهَى صُمَّ العِدَى فى صَخْرةٍ صَمّاء

١٢ بمَجَامِعِ الثَّغْرَيْنِ ما ينفكُّ فى جَيْشٍ أَزَبَّ وغَارةٍ شَعْواء

---

(٩) يقول : إن أردت ذلك فانظر بعينٍ بريئة من الهوى والمكابرة . المقلة ، بالضم : شَحمة العين التى تجمع السَّوادَ والبياض . الشوساء : مؤنثة الأشوس ، وهو الذى ينظر بمؤخِر عينه كِبْراً أو غيظاً . وصف العينَ بنعت صاحبها .

(١٠) افترع البكر : افتضها . وصدر الرمح : مقدّمه . أى : انظر تعلم كم فتح من بلد فَتْحاً بكراً لم يسبقه أحدٌ إليه .

(١١) أى ودعا صُمّ العِدى ، وهو متمنّع فى صخرة صمّاء ، فأسمعهم وأخضعهم تارةً بأن يرهبَهم بأسنة الرّماح ، وأخرى بأن يستدنِيَهُمْ بالهبـاتِ والعطايا ، التى تطمعهم وتستلُّ سخائمَهم . واللُّهَى ، بالضم : جمع لُهوة ، وهى العطيّة . ويروى : « والقَنا » . وجعل أعداءه صُمًّا ، أراد أنهم أهلُ عِنادٍ لا يلينون لخصومهم ، فكأنّهم لا يسمعون . وقد تكون « فى صخرة صماء » حالا من صُمّ العِدى .

(١٢) أى ما يزال مرابطاً بمجامع الثَّغرين ، وهو فى جيشه العظيم ، الذى يُغير به على أعدائه غاراتٍ عنيفة . الثَّغر ، بالفتح : الموضع يُخشَى منه هجومُ العدوّ ، سواء أكان ميناءً(١) أم غيرَه . وقد عنى بمجامع الثَّغرين ، تلك الحدودَ القائمة بين بلاد الدولة العربيّة وبلاد الروم . والأزَبّ : أصله الرّجل الكثير الشَّعر ، مؤنثه زبّاء . وقد أراد به الجيشَ الكثير السّلاح والعَدَد . والشَّعواء : المتفرّقة المستطيرة المنتشرة .

---

(١) الميناء مفعال من ونى ؛ لأن السفن تنى فيه . وهو مذكر ، يمد ويقصر . قال كثير :

تأطرن بالميناء ثم جزعنه وقد لاح من أحمالهن شحون

١٣ مِنْ كلّ فَرْجٍ للعدُوّ كأنّه فَرْجٌ حِمًى إلاَّ مِنَ الأَكْفاء

١٤ قد كان خطبٌ عاثِرٌ فأقالَهُ رأْيُ الخليفة كوْكَبِ الخُلفاء

(١٣) الفرج الأول : الثغر . وأراد بالثانى المرأة . والحمى : المحمىّ المصُون . يقول : وكم فتح من ثغر عزّ على غيره وامتنع ، فكأنّه ، فى تمكّنه من ذلك، رجل كفء لا مرأةٍ أبى ذوُوها إلاّ أن يزوّجوها من كفئها .

(١٤) الخطب ، بالفتح ، أشار به إلى الحكم الذى حكم به الخليفة المعتصم على ممدوح أبى تمام ، وهو خالد بن يزيد . وكان حكم عليه بالنفى . وأصل الخطب : الشأن والأمر تقع فيه المخاطبة . ومنه قولهم : « جلّ الخطب » أى عَظم الأمر والشأن . وفى الكتاب : ﴿ قَالَ فما خَطْبُكم أيُّها المرسَلُون ﴾ . والعاثر : الذى يعثر بصاحبه أى يكبُو ويسقط . وأقاله من عثرته : رفعه من سقوطه . ونذكر هنا قصة نفى الخليفة المعتصم لخالد بن يزيدَ ثم عفوه عنه . قال الصولى : رفع بعض العمال إلى أمير المؤمنين المعتصم أن خالد بن يزيد اقتطع الأموال واحتجَنَ بعضها وفرّق بعضها ، وخالد كان ولى جباية الخراج من موضع ، والواشى به فى جباية الخراج أيضاً لموضع قريب من خالد . فغضب المعتصم ، وحلف : ليقتلنَّ خالدا ، أو ليأخذن أمواله ، أو لينفينهّ . فلجأ خالدٌ إلى أحمد بن أبى دُؤاد ، فاحتال هذا بالجمع بين خالد وخصمه ، فلم يقم على خالد حجّة . ثم أحضره المعتصم للعقوبة ، وقد كان ابن أبى دُؤاد عرّف المعتصمَ خبرَه و بُطلان ما نسب إليه ، ثم شفَع فيه فلم يشفّعْه . فلما أحضر المعتصمُ خالداً حضر ابنُ أبى دُؤاد ، فجلس دون مجلسه ، فقال المعتصم : إلى مكانك يا أبا عبد الله ! فقال : يا أميرَ المؤمنين ، ما أستحقُّ إلا دونَ هذا المجلس ! فقال : فكيف ذاك ؟ ! قال : لأنَّ الناس يزعمون أنّه ليس محلّيٌ محلّ من يشفع فى رجل ! قال : فارتفع إلى موضعك ! قال : مشفَّعاً أو غير مشفّع ؟ قال : بل مشفّعاً ! قد وهبتُ لك خالداً ، ورضيت عنه لكلامك ! قال : إنّ الناس لا يعلمون رضاك بعد غضبك إلا أن تخلَعَ عليه =

١٥ فخرجتَ منها كالشهاب ، ولم تزَلْ   مُذْ كنتَ خرّاجًا من الغَمَّاء

١٦ ما سَرَّنى بخِداجِها من حِجَّةٍ   ما بينَ أندَلُسٍ إلى صَنْعاء

= فأمر بذلك . قال: وقد استحق هو وأصحابه أرزاق ستّة أشهر، وسيقبضونها لا محالة، فإن أمرت لهم بها فى هذا الوقت قامتْ مقام الصِّلة . قال : ليحملْ معه ما استحقَّه هو وأصحابه. قال : فخرج خالد وعليه الخِلَع ، وبين يديه المال، و إن الناس لينتظرون الإيقاع به . فصاح به رجل : يا سيِّد العرب ! قال له كذبت ، والله ، سيِّد العرب ابن أبى دؤاد ! !

(١٥) يقول لخالد : فخرجت من تلك الشديدة وذلك الخطب كالشهاب ، وهو الكوكب المنقضّ . مذ كنت : منذ وجدت . وكان فيه تامة . والغَمّاء ، بالفتح وتشديد الميم المفتوحة : الداهية والكرب ، كالغمى ، بضم الغين وتشديد الميم المفتوحة . وقد عنى أنه يحسن معالجة الخروج من المآزق والكرب .

(١٦) الحِجّة ، بالكسر : المرَّة الواحدة من الحجّ ، وهى من شواذ اسم المرة ، والقياس الفتح[1] . والخداج ، ككتاب : النقصان ، من قولهم خدجت الناقة بفصيلها : إذا ألقته ناقصاً لغير تمام . يقول لقد سرّنى خِداج هذه الحجّة ، وفشل توجُّهك إليها ، و إن سرورى بامتلاك هذه الأرض الفسيحة العريضة ، لا يعدل سرورى بضياع هذه الحجة التى تحمل ما تحمل من معنى النفى عن البلاد ، وتدلّ على غضب الخليفة . . وضياع الحجة ، وضياع أجرها ، هو ما سماه أبو تمام : « خداج الحجة » فكأنها ولدت لغير تمام . فأبو تمام يتحدث عن الضيق الذى كان قد ألم بخالد بن يزيد ثم أعقبه الفرج بعفو الخليفة عنه . واختيار أبى تمام لصنعاء مما قضت به عليه ضرورة الروى ، و إلا فقد كان المجال عنده أوسع وأفسح مما جعله حداً شرقياً للأرض التى أشار إليها . فالشرق يمتدُّ إلى الهند والصين، من البلاد التى

(١) القاموس واللسان

١٧ أجْرٌ، ولكنْ قد نظرتُ فلم أجدْ   أجْـــراً يَفِي بشَماتةِ الأعْداء

١٨ لوسِرْتَ لالتقتَ الضُّلوعُ على أسًى   كَلِفٍ قَليلِ السَّـــلْمِ للأَحْشَاء

١٩ ولَجفّ نُوّارُ القَريضِ وقلّما   يُلفَى بَقاءُ الغَرْسِ بعدَ الماء

كانت معروفة فى عصره . والعرب تقول : ما يسرنى بهذا الشىء ذاك الشىء ، أى ما يسرنى هذا الشىء بدلاً من الآخر . فالباء فيه بمعنى البدل . وجاء منه قول الرسول : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحبُّ أنّ لى به حُمْرَ النعم[1] » أى أن يكون له بدله حمر النعم ، وهن خير الإبل . وجاء فى قول الفند الزِّمّانى[2] :

فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا   شنوا الاغارة ركباناً وفرسانا

أى بدلهم . وقد أُخذ على أبى تمام إسقاط أل من (الأنداس)[3] . وليس بشىء ؛ فإنه سُمِع فى شِعرٍ عربىّ[4] .

(١٧) أى هو أجر . أى كان لهذه الحجة — لو أنها تمت — أجر ، ولكن هذا الأجر مع شماتة الأعداء وما فى الحجّ من معنى النفى ، لا يعادل ، فى الفرح بالحصول عليه ، ما فى شماتة الأعداء من قسوة وثقل على النفس .

(١٨) يقول : لو سرت إلى مواطن الحج ونفذ فيك أمر الخليفَة لا لتقت الضلوع منى واشتملت على أسَى رجلٍ كلفٍ ، يحبك شديدَ الحبّ . وقد عنى بالكاف نفسه . ثم نعت الأسى ، وهو الحزن ، بأنه قليل المسالمة للأحشاء ، فهو أبداً يقلقها و يؤلمها .

(١٩) جفَّ : يبس . والنوار ، كرمان : الزهر ، أو الأبيض منه ، الواحدة نُوّارة . والقريض : الشّعر ، كأنه قرض ، أى قطع على غرار خاص . يقول : لو كان قد تمّ نفيك لما وجدْت أنا وغيرى من الشعراء من يمدحونه ، فضاع بذلك الشّعر ، وخبا نجمه ، وذبل روضه ؛ فإنك للشُّعراء كالماء يَروى المغروس من النبات . فإذا أمسك الماءُ فقليلاً ما يبقى النبات

---

(١) سيرة ابن هشام بهامش الروض الأنف (١ : ٩٢)

(٢) حماسة أبى تمام (١ : ٥)

(٣) شفاء الغليل فى رسم (اسكندر)   (٤) انظر معجم البلدان

٢٠ فالجوُّ جَوِّى إذ أَقمتَ بِغبْطةٍ والأرضُ أرضى والسَّماءُ سمائى

٢

قال يمدح محمد بن حسان الضبى* :

١ قَدْكَ اتَّئِبْ أربَيْتَ فى الغُلَواءِ كم تَعذُلُون وأنتمُ سُجَرائى

---

(٢٠) يقول: فإذْ أقمت بغبطة ولم ترحل إلى منفاك ، فإنى أشعر أنَّ الجو هو جوى الذى يروقنى ، وكذلك الأرض أرضى لا أحسُّ فيها بغُربة ، بل أغتبط بها كما أغتبط بالسماء .

* هو محمد بن حسان السعدى الضبى، من بنى سعد بن ضبة . وقد مدحه أبو تمام بأربع قصائد أخرى سوى هذه[1] . يقول فى إحداها :

لولا ابن حسّان المرجىّ لم يكن بالرِّقة البيضاء لى متلوَّمُ
شافهتُ أسباب الغنى بمحمدٍ حتى ظننتُ بأنها تتكلمُ

وفى أخرى :

سأبعثُ اليومَ آمالى إلى ملك يلقى المديح بقلب غير نَسيان[2]
تفاءلت مقلتى فيه إذ اختلجت بالخير من فوقها أشفار أجفانى

(١) قدك : يكفيك ، فهو اسم فعل . اتئبْ : استحى ، قال الصولى : هى مأخوذة من الإبة وهى الحياء . وأب : استحيا . قال ذو الرمة :

إذا المَرَئِىُّ شب له بنات عقدن برأسه إبةً وعارا

أربى : زاد . والغلواء ، بضم ففتح : الغلو وتجاوز الحد . كم تعذلوننى : أى تلوموننى كثيراً . والسجراء : جمع سجير ، بالمهملة ، وهو الصفى ، والخليل ، والصديق . يقول لصاحبه : قد غلوت فى لومى . وقد بدأ الخطاب بالمفرد ثم جعله للجمع فقال : كم تعذلون . وهو ما يسمى بالالتفات .

---

(١) الديوان ٢٣٢ ، ٢٨٣ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤

(٢) فى اللسان : « رجل نسيان بفتح النون : كثير النسيان للشىء »

٢ لا تَسْقِنى ماءَ المَلامِ فإنّنى صَبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بُكائى
٣ ومُعرَّسٍ للغَيْثِ يخفُقُ فوقَه راياتُ كلِّ دُجُنَّـــةٍ وَطْفاء
٤ نُشِرت حدائِقُه فصِرْنَ مآلِفاً لِطَرائفِ الأنْـواء والأنْداء
٥ فسقاهُ مِسْكُ الطَّلِّ كافُورَ النَّدَى والحلَّ فيـــه خَيطُ كلِّ سَماء

(٢) المَلاَم : اللوم ، مصدر ميمىٌّ . والصبّ : الرقيق الهوى . والصَّبابة : الشوق ورقّة الهوى . يقول : ألفت بكاءَ صَبابتى ، فأنا أَرْوَى بدمعه وأستعذِبُه ؛ فكفُّوا عنى ملامَكم .

(٣) المعَرَّس ، بضم الميم وتشديد الراء المفتوحة : المكان يعرِّس فيه القومُ ، أى ينزلون آخر الليل ، للاستراحة لا للمبيت . والغيث : المطر . والدُّجُنَّة : السحابة المطبقة المظلمة . والوطْفاء : ذات الوطَف ، بالتحريك ، وهى التى تدلَّت ذيولها . أو هى المسترخية لكثرة مائها . وأراد بالرايات الخافقة ، البروق اللامعة المتوالية . وهو تشبيه رائع . يقول : وربَّ بُستان يجُودُه الغيثُ من آخر الليل ، وتُلحُّ عليه هذه السُّحبُ الكثيفة التى تتخللها البروق . وجواب رب : « صبّحته » فى البيت السابع من القصيدة .

(٤) نُشِرت حدائقه : كثُرن . والحديقة : الرّوضة ذات الشّجر ، كأن الشَّجر يُحدِق بها . مآلف : جمع مَأْلَف ، وهوالموضع يُؤْلف ويؤنَس به . والطرائف : الجديدات والأنواء : الأمطار . وقد سبق الحديث عن الأنواء[1] . والأنداء : جمع نَدًى ، بالتحريك وهو ما يسقط بالَّليل . يقول : قد صارت هذه الحدائق مكاناً مألوفاً للأمطار .

(٥) الطَّلُّ : المطر الخفيف . وجعل الطلّ كالمسك لما ينبعثُ بعدَه من روائح الأزهار العطِرة والنبات الشَّذِىّ . والكافور : طِيبٌ أبيضُ اللّون . وقد شبَّه به النَّدى ، وهو القطرات تبقى على الزَّرع . وقد قابل بين الكافور الأبيض والمسك الأسود ، و بين الطلّ

(١) انظر البيت السابع من القصيدة الأولى ص ١٣

٦ غُنِيَ الربيعُ بِرَوضِهِ فكأنّما أبْدى إليه الوشْيَ من صَنْعاء

والنّدَى . والسَّماء : السحاب . ويكون السماء أيضاً المطر ، كما جاء فى قول معوِّد الحُكماء ، معاوية بن مالك[١] :

إذا سقط السَّماءُ بأرضِ قومٍ رعيناهُ وإنْ كانوا غِضابا

وانحلَّ خيطُ السماء : لم تُمسِكْ مطرَها وأرسلته ، كما ينحلُّ خَيط القِربةِ ونحوها فيتبعَّق منها الماء وغيره .

(٦) الربيع : المطر فى فصل الربيع . وفصل الربيع عند العرب هو ما نسمّيه بالخريف وفى اللسان : « وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الرَّبيع » . وفيه عن أبى حنيفة : « والشِّتاء كله ربيعٌ عند العرب » . وفيه : « وسمَّته العربُ ربيعاً لوقوع أوّلِ المطر فيه » . وغُنِيَ به : اعتنى . والمراد ألحَّ عليه .

وصَنعاء ، هى صنعاء اليمن ، حاضرة مدنه . ويضرب المثلُ بوشيها . والوشْى : ثيابٌ حسنة منقوشة . وتشبه بها الألفاظ الحسان ، كما قال البحترى[٢] :

جئناكَ نحملُ ألفاظاً مدبَّجةً كأنّما وشْيُها من يُمْنَةِ اليمَن

وقال بشّار[٣] :

ولهـا مَبسم كغُرِّ الأقاحِى وحديثٌ كالوشْيِ وَشْيِ البُرودِ

وأبْداه : أخرجه إلى البادية ، فكأنّ الربيع أخرج إلى تلك الأرض وشْىَ تلك الحاضرة اليمنية . وفى اللسان[٤] : « وبدا القوم بداء : خرجوا إلى البادية . . . وقد بدوت أنا ، وأبدَيت غيرى » . وتفسيره بمعنى أظهره ، ليس بشىء . وروى : « أهدَى » .

(١) اللسان (١٩ : ١٢٣)
(٢) ديوان البحترى ٢٨٥
(٣) الأغانى (٣ : ٤٢)
(٤) اللسان (١٨ : ٧٢ س ٢ — ٣)

٧ صبّحتُه بمُدامةٍ صبّحتُها بسُلافةِ الُخلطاء والنُّدَماء

٨ بمُدامةٍ تغدُو المُنَى لكئوسها خَوَلًا على السَّرّاء والضَّرّاء

٩ راحٍ إذا ما الرّاحُ كُنَّ مَطِيَّها كانَتْ مطايَا الشَّوقِ فى الأحْشاء

---

(٧) صبَّحته : جئته صباحاً . والمُدامة ، بالضم : الخمر ؛ سُميت بذلك لأنها تُدام فى دَنِّها : أى تترك ؛ من دام يدوم ؛ لأنه لا شىء تستطاع إدامة شربه إلا الخمر فيما يَرَوْن . صَبَّحتها ، سقَيتُها . صبَّحه : سقاه الصَّبُوح ، وهو شرب الغَداة . بسلافة الخلطاء : أى بلطف الخلطاء وظرفهم . والسُّلافة : أخلص الخمر وأفْضلها . والخلطاء : الشُّركاء ، والقوم الذين أمرُهم واحد . والنُّدماء : جمع نديم ، وهو الجليس على الشَّراب ، والسمير .

يقول : غدوت على هذا الروض بمُدامة سقَيْتها من ظرف هؤلاء الصِّحاب . والخمر لها ما لها عند شاربيها من أثرٍ يهوَوْنه ، فكيف بها حين تُسقَى هى خمْراً ؟ ! فيكون لها فى أعين هؤلاء القوم ما للشَّارب ، حين تأخذ بلبّه الخمر ، من ظرف ونشوة .

(٨) الخوَل : العَبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، الواحد والجميع والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء . وقيل جمع خائل ، كرائح ورَوَح ، بالتحريك . جعل المُنَى التى يحلم بها الشارب طيّعة منقادة لكأسه ، فمهما خَالَ من أمنيّةٍ فإنّ تلك الأمانىّ تُطيف بكأسه وترفرف ، سواء أكان فى السَّرّاء أم الضَّرّاء .

(٩) الراح الأولى الخمر ؛ لأنها تريح شاربَها ، والثانية الأكُفّ[1] . كنّ مطيّها : أى حملْنها وأمسكن بها . والمطىّ : جمع مطية ، وهى الدابّة ؛ لأنها تمطو فى سيرها أى تسرع . كانت مطايا الشوق : أى حملت الشوق إلى الأحشاء ، ممّا ترقّق من روح شاربها — زعموا .

---

(١) والراح الأولى مفردة ، والثانية جمع راحة .

١٠ عِنَبِيّةٍ ذَهَبِيّةٍ سَبَكَتْ لها ذَهَبَ المعانى صَاغةُ الشُّعَراء
١١ صَعُبَتْ وراضَ المَزْجُ سَيِّئَ خُلْقِها فتعلَّمتْ مِنْ حُسْنِ خُلْق الماء
١٢ خرقاء يلعبُ بالعقول حَبابُها كتلاعُبِ الأفعــال بالأسْماء
١٣ وضعيفةٌ فإذا أصابت فُرصةً قتلَتْ ، كذلك قُدرةُ الضُّعفاء

---

(١٠) عنبيّة : منسوبة إلى العنب . وفى الخمر ما هو من غير العنب . ذهبية : صفراء كالذهب . والصاغة : جمع صائغ ، كبائع وباعة .

يقول : نعت فحولُ الشعراء هذه الخمرَ أروع نعتٍ ، وصنعوا فيها عجيبَ المعانى . وقد جمع بين السَّبْك والذَّهب والصِّياغة . وهى صنْعة طيِّبةٌ فيما يبدو .

(١١) صعُبت: أى هى قبل المزْج صعبة قويّة ، فلما مُزِجت بالماء خفّت حِدَّتها ، وتطامَنَ طبعُها ، كما يروض السائسُ الصَّعبَ من الحيوان ، العنيدَ الطبع ، فإذا هو بَعد الرياضة أسلس الحيوان طبعاً، وألينُه خلقاً . والماء ليِّنٌ سهْل ، فمنه أخذت الخمر شيئاً من ذاك الطبع حينما مُزِجَت به .

(١٢) الخرقاء: المرأة التى لا تحسن العمل ، وإذا أحسنت العمل قيل لها صَناع . والحباب ، بالفتح : الفقاقيع تطفو على وجه الكأس .

يقول : هى مع خُرْقها صَناعٌ فى لعبها بعقْل شاربها ، تُداوِل له بين الفرح والحزن ، والسعادة والبُؤس ، والإقدام والجُبْن ونحوها ، كما تلعب الأفعالُ بالأسماء ؛ فهى ترفعها مرّة وتنصِبها أخرى . أقول : ومن لم يعرف قائل هذا البيت نسبه إلى نحوىّ ، لا جرم .

(١٣) أى هى مع ضعفها تصرع شاربَها ، إذا أُتيحت لها الفرصَة ، وكذلك شأن الضعيف حين تُيسَّر له القدرةُ ؛ فإنه يحاولُ أن ينتقم من ضَعفه السالف ، فيظهر منه من

١٤ جَهْمِيّةُ الأوصافِ إلّا أنّهمْ ... قَدْ لقبُوها جَوهرَ الأشياء

١٥ وكأنّ بهجتَها وبهْجةَ كأسها ... نارٌ ونورٌ قُيِّــــدا بوِعاء

١٦ أو درّةٌ بيضاء بِكرٌ أطبقتْ ... حَبَلاً على ياقُوتة حمْـــراء

الطُّغيان والجبروت ، ما لا يكون عند القويّ طبْعاً . وهذه نظرةٌ صادقة . قال الصُّولى: أخذه من قول جرير فى النساء :

يصرعْن ذا اللب حتّى لا حَراكَ به ... وهُنَّ أضعفُ خَلْق اللهِ إنْسانَا

(١٤) الجهمية : فرقة دينية ، تنسب إلى جهم بن صفوان ، وكان يذهب إلى أنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ، كما يقال : زالت الشمس ، ودارت الرحى ، من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وُصفا به[١] . فالجهمية يصفون الأشياء جميعها بالضعف والعجز . فالخمر فى ضعفها ورقّتها وخفّة قَوامها ، لا يُتصوَّر لها أن تصرع الرَّجُلَ القويَّ وتسلُب إرادتَه ، وتهتِك عزمَتَه ، فليس يكون لها هذه القدرةُ مع هذا الضَّعف . فما يبدو منها ، من فعل الإسكار وقتل الشارب ، ليس لها ، وإنما هو لخالق الأفعال جميعها ، وهو الله . وذلك قول الجهمية .

يعجب للخمر التى صَدَق عليها نعت الجهمية لها بالضعف ، أن يسمّيها غيرهم من الناس « جوهر الأشياء » أى أصلها[٢] ، فهى أصلٌ للسرور ، تُشيعُه فى رُوحِ شاربِها ، وهى أصلٌ للإقدام والإحجام ، وغير ذلك من الصفات والطبائع .

(١٥) البهجة : الحسن . يقول : هذه الخمر فى لونها الأحمر ، وتلك الكأسُ فى بياض لونها ، كأنهما نار ونور وُضِعا فى ظرف واحد ، وتلازما تلازُما .

(١٦) جعل الكأس كالدرة البيضاء . والبكر : التى لم تثقب . وهو أروع الدر

---

(١) الفرق بين الفرق ١٩٩

(٢) فى المعرب للجواليقى بتحقيق العلامة الشيخ أحمد شاكر ٩٨ : « جوهر الشىء أصله » .

١٧ يُخفِي الزُّجاجةَ لونُها فكأنَّها في الكفِّ قائمةٌ بغير إناء

وأجمله . أطبَقَتْ : انْضَمَّتْ . وشبَّه الخمر بالياقوتة الحمراء . وفى الياقوت الأبيضُ والبنفسجىُّ والأصفر والأزرق[١] . وحبلا : أى لأجل الحبل ، فهو مفعول لأجله . أو تمييز ، أى أطبَقَ حمل الدرة واشتمل على الياقوتة . فيكون الحبل فى التأويل الثانى مصدراً أو اسما ، كما قال ساعدة :

ذا جرأة تُسقِط الأحبال رهبتُه مهما يكن من مَسامِ مَكْرَهٍ يَسُمِ[٢]

وقد أخذ أبو تمَّام هذا المعنى من أبى نواس ومسخه ، وهو قول أبى نواس :

فالخمر ياقوتةٌ والكأسُ لؤلؤةٌ من كف جاريةٍ ممْشوقة القدِّ

(١٧) الزجاجة : قدحُ الخمر . وفى اللسان : « أبو عبيدة : يقال للقَدح زجاجة ، مضمومة الأول ، و إن شئت مكسورة ، و إن شئت مفتوحة . وجمعها زُجاج ، وزِجاج ، وزَجاج » . يقول : إنّ لون هذه الخمر يخفى الزجاجة ، لرقة الزجاجة ونقاء جوهرها ، فكأنما هى قائمة وحدَها فى الهواء ، لا تضمُّها كأسٌ ولا تشتمل عليها . وقد أنكر قومٌ على أبى تمام هذا البيتَ ، وقالوا : «لو ملأ الإناء دِبْساً لكان هذا صفته[٣]» . يريدون أن هذا الوصف لا يُعْلِى من شأن ما نعت من الخمر . وقد ردَّ عليهم الآمدىُّ بأنّه إنما قصد إلى هيئة الشَّراب فى الإناء ، ولم يقصدْ إلى وصف الشراب خاصَّة ، ولا إلى الإناء . وأنَّه لو أراد وصْفَ الإناء لكان مُصيباً ؛ لأنَّ الزُّجاجة أيضاً تُوصَف ، وتقع المبالغة فى نعْتها . وقد جاءَ فى وصف أوانى الشرب ما جاء . ومن أحسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جريج الرُّومىّ ، يصف قَدَحا :

(١) نخب الذخائر بعناية الأب أنستاس ٢ — ١٣

(٢) اللسان (١٣ : ١٤٧) . والأحبال ، فى البيت : الأجنة جمع حبل ، بالتحريك .

(٣) الموازنة ص ١٤

١٨ ولها نسيمٌ كالرّياض تنفسَتْ ... في أوجُـهِ الأرْواحِ بالأنْداءِ

تنفذُ العَينُ فيه حتَّى تَراها ... أخطأتْهُ من رِقَّة المستشَفِّ

كهواءٍ بلا هواءٍ مشوب ... بضياءٍ أرْقِقْ بذاكَ وأصْفِ

وسَطُ القَدْرِ لم يُكبِّرْ لجرْعٍ ... مُتوالٍ ولم يُصَغَّرْ لرشْفِ

لا عجولٌ على العُقولِ جَهولٌ ... بل حليمٌ عنهن من غير ضَعْفِ

فالزُّجاجة إذا رقَّت وصَفَت ، وسلِمت من الـكدر — اشتدَّ صفاؤُها وبريقُها . فإذا وقع فيها الشَّرابُ الرَّقيق اتصل الشُّعاعان ، وامتزجَ الضَّوءان ؛ فلم تـكد الزُّجاجةُ تتبيَّن للنَّاظر . ولو جعلها دِبْسا أو عسلا أو لبناً أو ماء كدراً ، في إناء هذه صفتُهُ في الرِّقَّة — لَمَا خفِيَ الإناء على الناظر ؛ لأنَّ هذه الأشياء لا شُعاع لها ، ولا ضياءَ يتَّصلُ بشُعاع الإناء وضوئِه.

وقد سبقه إلى هذا المعنى عليُّ بنُ جَبَلة فقال :

كأنَّ يد النديم تُدِيرُ منها ... شُعاعًا لا تحيطُ عليه كأسُ

وقال آخر :

وإذا مَا مُزِجَتْ في كأسها ... فهي والـكأسُ معاً شيءٌ أحَدْ

(١٨) النسيم : الريح الطيبة ، قال أبو نواس حين نهاه الأمينُ عن شُرْب الخمر[١] .

كُبْرُ حَظِّي منها إذا هي دارت ... أنْ أَرَاها وأنْ أشَمَّ النَّسيما

والأرواح : جمع ريح . والأنداء : جمع نَدًى ، وهو ما يتجمع على أوراق الشَّجر والزهر بعد الليل . يقول : لتلك الخمر شذاً عبق ، كأنَّه أريجُ الرياض حينما تتنفس بأندائها في أوجه الرياح . وإنمـا يطيبُ أرَجُ الرّياض في الصَّباح عنـد سقوط النَّدى . جَعَل للرياض صورة الذي يتنفس من الناس في وجه المرآة ، فيبدو على سطحها من النَّدى ما يبدو . وكذلك الرّياض تتنفَّس في أوجه الأرواح فينشأ الندى في الجوّ .

---

(١) أخبـار أبي نواس ١١٦

١٩ ومسافةٍ كمسافة الهَجْرِ ارتقَى   في صَدرِ باقي الحبِّ والبُرَحاء
٢٠ بِيدٍ لنسل العِيد في إمْليدِها   ما شئتَ من هِيدٍ ومن عُدَواء
٢١ مزّقتُ ثوبَ عَكُوبها برُكوبها   والنَّارُ تنبُع من حَصَى المَعْزاء

(١٩) ارتقى الهجر: صعِد، والمراد تغلغل وتمكن. باقي الحبّ: أي مَنْ حبُّه باقٍ ثابت. والبرحاء، بضم ففتح: الشدَّة التي يلقاها المحبُّ. معطوفة على «الحبِّ». يتحدَّث عن المسافة التي قطعها إلى ممدوحه، ويقول إنها في طولها وشدَّتها شبيهةٌ بالمسافة الزمنيَّة التي يحدثها الهجرُ في خيال المهجور، فكل لحظةٍ تمرُّ عليه يخالُها يوماً. وكلُّ يومٍ يحسبه شهراً؛ ممَّا يؤلمه الشَّوقُ، ويُضْجِره القلَق. وهو نوعٌ من التمثيل طريف؛ إذ جعل كلًّا من الممثَّل والممثل به غايةً في نوعه، كقول القائل:

رُبَّ ليلٍ أمَدَّ من نفس العا   شق طولا قطعتــه بانتحاب

فجعل ليله غايةً في الطول بين سائر اللّيالي، ومثَّله بنفس العاشق الذي هو غاية في الطول بين الأنفاس. ولم يردْ تشبيهَ طولِ الليل بطول نفَس العاشق؛ فبيْنَهما ما بينهما.

(٢٠) بيد: بدل من مسافة. والبيد: جمع بيداء، وهي الصحراء. نسل العيد: الإبل العيدية. والعيد، بالكسر: فحل معروف كريم من فحولهم، تنسب إليه الإبل العِيديَّة. والإمليد من الصحارى: الإمليس، وهو الذي لاشيء فيه. ما ارتيدَ: ما طلب، والمراد غاية ما يطلب ويراد. والهيــد: الحركة. وفي حديث ابن عمر: «لو لقيت قاتل أبي في الحَرَم ما هِدْته» أي ما حرَّكته ولا أزعجْته. ومنه جاء زجْرُ العرب للابل، تقول لها: هَيدٌ! وهِيدٌ! وهِيدِ! وهادِ! والعُدَواء، بضم ففتح: البُعْد. يقول: لهذه الإبل العيديَّةِ في أماليس هذه البِيد، غايةُ ما يُطلَبُ من حركةٍ وبُعد.

(٢١) العَكوب، بالفتح: الغُبار، ومثله العاكوب والعَكُّوب، بفتح العين وتشديد

٢٢ وإلى ابن حَسّانَ اغتدتْ بى هِمةٌ وقفَتْ عليـــه خُلّتِي وإخائى

٢٣ يا غايَةَ الظُّرفاء والأُدباء ، بلْ يا سـيِّدَ الشُّعَــــراء والخُطَباء

٢٤ عُرِفَتْ بكَ الآدابُ مُحْفَلَةً كما عُرِفت قُرَيشُ اللهِ بالبَطْحاء

الكاف المضمومة . والمَعْزاء ، بالفتح : المكان الكثير الحصى الصلب ، ومثـله الأمعز .

يقول : شققت غبار هذه البيد بركوب هذه الناقة الكريمة فى هذا الحر الشديد ، الذى تنبعث حرارته من الحصى ، وتفيض كما يفيض النَّبْع . وهو ينظر إلى قول ذى الرُّمّة :

يَرُحْنَ بنا والمروُ حامٍ كأنّما يطأن بنا منه على عَجَلٍ جمرا

(٢٢) الهمّة: العزيمة. وقفت عليه خلّتى: حبست عليه صداقتى. والخُلّة، بالضم: الصداقة.

يقول : إنّ عزْمتى القويّة قد دفعتنى إلى اجتياز تلك البيد المهامه ، إلى ذلك الممدوح الذى خصصْتُه بمودّتى ، وأفردْتُه بأن جعلته موضِـعَ رجائى وأملى .

(٢٣) جعله غايةً فى الظرف والأدب والشِّعر والخطابة ، فماذا ترك ؟ !

(٢٤) محفلة ، أراد : مجموعة . وليس فى المعاجم التى بأيدينا فعل (أحفل) ، بل فيها (حَفَل) و (حَفَّل). قريش الله، هم قريش ، نسبوا إلى الله . وكان يقال لهم « أهل الله[1] » لقربهم من بيته وقيامهم بأمر الحج . وسأل عمر بن الخطاب نافعَ بن عبد الحرث الخزاعى حين قدم عليه مكة : مَن استخلفت على مكة ؟ قال : ابن أبزى . قال : أستخلفت على أهل الله مولى ؟ ! وكان يقال لهم أيضاً « قريش البطحاء » . وبطحاء مكة : موضع فيها. وأصل البطحاء المسيل الواسع فيه الرَّمل ودُقاق الحصى . وكان من يسكن ظواهر مكة منهم يقال لهم : « قريش الظواهر » . وقريش البطاح أكرم وأشرف من قريش الظواهر[2] .

---

(١) ثمار القلوب ص ٨

(٢) لسان العرب (٦ : ١٩٧ س ١٢)

٢٥ ساويتَهم أدباً ، وجودُكَ شاهدٌ بل حالفٌ أنْ لَسْتما بِسَواء
٢٦ بخلائقٍ أسكنْتَها خُـلْدَ النَّدَى فحمِدْتَ منها حَمْدَ كلِّ بَلاء
٢٧ لم يبقَ ذو غَدْر لريبِ مُلمّةٍ إلّا وقد أَلجَمْتَـــه بوَفاء
٢٨ وإذا تشاجَرَت الخطوبُ قَرَيْتَها رأياً يفُلُّ مَضارِبَ الأعْـداء

(٢٥) يقول : ساويت الأدباء فى أدبهم ، و إنّ جودك وكرمك ليشهد، بل ليحلف، أنهم لا يساوونك فى منزلتك .

(٢٦) الخلد : الخلود ، أراد به موضع الخلود . والبلاء : الاختبار . يقول : أسكنت طباعك وخلائقك حيث يخلد الكرم والجود . عنى أنهما متلازمان . ثم قال : إنك قد بلوتَ هذه الخلائق ، فما حمده البلاء والاختبار حمدته أنت واصطفيته .

(٢٧) يقول : إن وفاءك قد عم أعاديك ؛ فإذا هم أحدهم بأن يغدر بك عند ما تلم بك ملمة — وجد من وفائك السالف ، ما يكبحه ويردُّه عن همه وغدره الذى أراد .

(٢٨) تشاجرت الخطوبُ : كثرت واشتبكت . والخطوب : الشدائد . قريتها رأياً : مِن قرى ضيفهُ : قدم له القرى . والمراد : قضيت عليها وعلى صعوبتها برأيك الحاسم . والعربُ تقول قريت الشيءَ الشيء أو به ، يعنُون : نفيته به وأذهبته ؛ فإن الضيف حين يتم قراه وتكمل ضيافته لا يرى مندوحة من الرحلة . ومن ذلك ما قال[١] :

وقد أقرى الهموم إذا اعترتنى زماعاً والمقتَّـلةَ الشَّناحا

يقول : أذهب همومى بالعزم على السفر وركوب هذه الناقة .

يفُلُّ : يثلم ، وبابه نصر . مضارب الأعداء ، أراد مضارب سيوفهم . ومضرب السيف بفتح الراء ، وتكسر : حدّه . نعَتَ رأى ممدوحه ، بأنه يتغلب على ما يبتغيه الأعداء من الإيقاع أو إحداث الشَّغْب .

(١) المخصص (٧ : ٥٩)

(٢) الزماع ، بالفتح : العزم . والمقتلة : المذللة . والشناح ، بالفتح : الطويلة الجسيمة

٢٩ رأيًا لو استُسقِيتَ ماءَ نصيحةٍ لجَعَلْتَه أَرْيًا من الأَرْياءِ

٣٠ لما رأيتُك قد غذَوتَ مودّتى بالبِشْرِ واستَحْسنتَ وجْهَ ثنائى

٣١ أنْبَطتُ فى قلبى لوَأْيك مَشْرَعًا ظلَّتْ تحومُ عليه طيرُ رَجائى

٣٢ فثويتُ جارًا للحضيض وهمَّتى قد طُوِّقت بكواكب الجوْزاء

(٢٩) رأيا بدل من رأيا الأولى . استُسقِيت ، بالبناء للمفعول : طُلب منك أن تَسقى . و « ماء » مفعولُه . والأرى : العسل ، جمعه أرياء . يقول : لو سألك أحدٌ نصيحةً يرشد بها فإنك تقدِّم له من رأيك الصّائب الناجع ، ما هو فى عِظَم منفعته وطيبه ، بمنزلة العسل بين ما يُشرَب ؛ إذ العسل جليل النفع ، طيِّب المذاق .

(٣٠) غذوتَ مودتى : نمَّيتها وقوَّيتها . بالبشر : أى ببشرك وطلاقة وجهك .

(٣١) أنبطتُ : أى حفرت لاستخراج الماء . والوأى ، بفتح الواو : الوعد . وفى حديث عمر : « من وَأَى لامرئ بوأى فليْفِ به » . والمشْرع المنهَل . تحوم : تدور .

يقول : إننى لِما وعدتنى من كريم نوالك وعطائى قد جعلتُ فى قلبى مَنهلاً لتحوم على ذلك المنهل آمالى الكثيرة ، تستقى من مائه ، وتنعم بقربه . وقد جانس بالقلب بين « رأيا » و « أريا » .

(٣٢) ثوى : أقام ومكث . والحضيض : الأرض أو أسفل الجبل . والجوزاء : برج من بروج السماء . ويُضْرَب بالجوزاء المثلُ فى العلوّ .

يقول : لبثتُ فى ترقُّب وعدِك ، وأذللتُ نفسى انتظاراً لذلك ، على حين كانت همَّتى فى عُلوِّها وسُموِّها قرينةً للجوزاء . وقد راعى النظير كما يقولون ؛ إذ جمع بين « مقرونة » ، وفيها معنى قران الكواكب ، و بين « كواكب » .

٣٣ إيهٍ فَدتْكَ مَغارِسى ومَنابتى   اطرَحْ غَنَاءَك فى بُحور عَنائى

٣٤ يَتَيَسَّرْ لقولك مَهْرَ فِعلِك إنّه   يَنوِى افتضاضَ صَنيعةٍ عَذْراء

٣٥ وإلى مُحمَّدٍ ابتعثتُ قصائدى   ورفعتُ للمستنشِدِينَ لِوائى

٣٦ يحيي بن ثابتٍ الذى سَنَّ النَّدَى   وحَوَى المكارِمَ مِنْ حَياً وحَياء

---

(٣٣) إيهٍ : زدنى ، وهو اسم فعل . وقد عنى بمغارسه ومنابته ، أهله وعشيرته الذين نبت منهم و بينهم . والغناء ، بفتح الغين المعجمة : الكفاية . عنائى ، بفتح العين المهملة : أى شقائى وجهدى من شدة الحاجة .

يقول : إنّ كفايتك إياى كفيلةٌ أن تقضى على حاجتى وفقْرى ، وما ألقى من جَهْد فى العيش . فكأنَّ الممدوح يستلُّ عناء أبى تمام بما يتفضَّل به عليه . وقد راعَى النَّظيرَ بين « اطرح » و « بحور » فالطَّرح أراد به طرح الشِّباك .

(٣٤) يقول : إن قولك يَنْوى أن يقترن بصنيعةٍ عذراء لم يصنَعْ مثلَها أحدٌ قبلَك ، فيسِّر له هذا القِران بمَهرٍ من فِعلك . أى افعل ؛ ليطابق قولُك فِعلَك .

(٣٥) ابتعثت : أرسلت ، كبعثت . المستنشد : طالبِ الإنشاد . رفع لواءه : أى رفع لواء شعره ، فهو شعر معروف كريم .

(٣٦) الحيا ، مقصور : المطر ، وعنى به الجود . والحياء : الاحتشام . عنى به النفور من النقائص . سنَّ الندى : أى شرع للناس شِرعةَ الجود . سنَّ الأمر بيَّنه ، وسنَّ الطريقة : سار فيها . ولأبى تمام مثل هذا المعنى فى مدحه لعبد الله بن طاهر :

أرى النَّاسَ مِنهاجَ النَّدى بَعد مَا عفَتْ   مهايعُه المُثْلى ومَحَّت لواحبُه =

٣

قال يمدح محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد*

١ هَتَكَتْ يدُ الأحْزانِ سِترَ عَزَائى ... هَتْكَ الصَّباحِ دُجُنَّةَ الظَّلْماء

= قالوا: إن أباتمام كان قد مدح بهذه القصيدة يحيي ثابت، ثم جعلها فى محمد بن حسان الضبى. فيكون البيتان الثانى والعشرون والخامس والثلاثون قد بدَّلها أبو تمام عن صنْعهما الأول ؛ ليليقا بمدح محمد بن حسان . ونتوقع أن إنشادهما كان ، قبل التبديل ، على الوجه الآتى :

وإلى ابن ثابتٍ اغتدت بى هِمَّةٌ ... وقَفَتْ عليــه خُلَّتى ووَفائى

و : وإلى لبن ثابتٍ ابتعثت قصائدى ... ورفعت المستنشــدين لوائى

ويكون هذا البيت الأخير — أعنى السادس والثلاثين — مما احتفظ به الرواة تذكاراً للإنشاد الأول حينما كانت القصيدة فى مدح يحيى بن ثابت ، وليس ، قَطْعاً ، من صُلب المديح الطارئ . ولم نعثر ليحيى بن ثابت هذا على تعريف .

(*) هو ابن خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى . وقد سبقت ترجمة خالد فى القصيدة الأولى . ولم يظفر محمّد بن خالد ، من أبى تمّام بغير هذه القصيدة .

(١) هتك الستر : شقه ومزّقه . والعَزاء : الصبر أو حُسنه . والدُّجُنَّة : الظُّلْمة .

يقول : إنَّ تواتُر الأحزانِ قد أضعف قُوّة احتمالِه وجميلَ صبره ، فبدا جزعه وهلعُه ظاهراً مشهوراً ، كما يكشف الصَّباحُ عن سواد الليل فيبدو ما كان مستتراً فى الظُّلمة ، ظاهراً واضحاً للناس ، بعد أن كانت العينُ لا تتبيَّنُه . فيدُ الأحزان تظهر الجزع المكنون ، كما يَدُ الصُّبحِ تظهر خبايا الظَّلام . وهو معنًى دقيقٌ حين يُتدبَّر . على أنَّ افتتاح قصيدةٍ للمدح بمثل هذا المعنى — وفيه الحزن والعزاء — ليس مما يستحسن . وأجدِرْ به أن يكون فى مطلع قصيدة للرثاء . ولكن أبا تمام أراد أن يبدأ قصيدته بالنسيب وما يشعر به المحب من لوعة وأسى ، فلم يوفق فى اختيار هذا الثوب الذى افتتح به القصيدة .

٢ أَلِفَ الأَسَى ، وكأَنَّما بينَ الأسى قُرَبٌ وبَيْنَ غوامِضِ الأَحْشَاءِ

٣ فكأَنَّما قلبي بِمِخْلبِ طائرٍ وكأَنَّما عَلَّتْهُ بِطِلاءِ

٤ لامِنْ هَوًى عَكَفَتْ عليهِ شجونُهُ لصَدودِ مُهْضَمَةِ الحشَا غَيْداءِ

٥ إِلَّا لأَنَّ الدَّهرَ أَبْرَقَ صَرْفُهُ وَحَنَتْ عليه مَصائبٌ بِرزَاءِ

(٢) التفت من التكلم إلى الغيبة ، فعبّر عن نفسه بضمير الغائب . أى ألفت الأسى ، وهو الحزن . قُرَب ، بضم ففتح : جمع قُربة بالضم ، وهى القرابة والقُرْبى . ومثله كربة وكرب ، وقوة وقوى . يقول : كأنَّ بين الأسى وبين بواطن أحشائه قرابات متعددة ، فهو ملازمٌ لأحشائه ، شديد الدنوِّ منها .

(٣) المخلب : ظفر الطائر الجارح . علّله : سقاه مرّة بعد أخرى . والطِّلاء ، بالكسر : الخمر . يقول : كأنَّ قلبه فى مخلب طائر فهو يشتدُّ عليه قبضاً ويؤلمه ، ويشتدُّ عليه الألم حتَّى يشعر بذهاب قلبه ، وانفلاتِه من بين جنبيه ، وكأنَّ ذهولَ قلبه حينئذ ذهولُ عقل الشارب .

(٤) الهوى : الحبُّ . عكفت : أقامت . والشجون : الأحزان . والصدود : الإعراض . مُهضَمة الحشا : دقيقة الخصر . والغيداء : الناعمة اللينة المتثنِّية .

يقول : لا من هوًى لازَمتْهُ الأحزانُ لإعراض هذه الحبيبة .

(٥) إلّا ، هنا ، بمعنى « لكن ». ومثلها فى الكتاب : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) وليست المودَّة مسئولةً أجراً . والمعنى : لكن افعلوا المودَّة للقربى[١] . وقال : (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ) أى : لكن قوم يُونس

(١) انظر المصباح (رسم إلا)

٦ ولقد هشَشْتُ له زمانَ غَضارتى وَدعوتُه فأجابَ وَغْرَ دُعائى

٧ أغدُو على صَحْبٍ كأَنَّ وُجوهَهم سُرُجٌ تَزاهَرُ أوْ نُجومُ سَماء

٨ وَقديمةٍ قَبْلَ الزَّمان حَديثةٍ جاءتْ وما نُسِبت إلى آناء

لمّا آمنوا انقطعوا من سائر الأمم ، الذين لم ينفعهم إيمانُهم عند نزولِ العذابِ بهم[1] . وفى اللسان[2] : « قال الأزهرى . . . . . وتكون بمعنى لكن » .

صرف الدَّهر : واحد الصُّروف ؛ وهى الأرزاء والمصائب . والرِّزاء ، بالكسر : جمع رُزء ، بالضم ، وهو المصيبة . يقول : لكن عكفت عليه شجونه لأنّ الدهر تواترت صروفُه ، تواتُرَ المطرِ الذى تلمع بروقُه ، ولأنّ المصائب حنَتْ عليه وانعطفت .

(٦) هشَّ : ارتاح وفرح . والغَضارة ، بالفتح : اقتبال الشَّباب ، والغَضير من النَّبات : الرطب الطرىّ . والوغْر : الصوت والجلَبَة ، قال العجّاج فى صفَةِ جيش :

كأنّما زُهاؤه لِمَنْ جَهَرْ لَيْلٌ ، ورِزٌّ وغرِه إذا وَغَرْ

يريد : ولقد كنت أقابلُ دهرى فى عنفوان شبابى ببشاشةٍ وبِشْر ، وكنتُ إذا أردتُه على أمْنيّة أو مطلَب أجاب وأطاع . يشكو دهره الحاضر ، ويبكى دهره الماضى .

(٧) سُرُج : جمع سِراج ، وهو المصباح . تَزَاهر : تتزاهر . وهى من زهر المصباح : تلألأ نوره . يقول : كنت إذا غَدوت أغْدو على أصحابٍ كرام حسانِ الوجوه . والجمالُ من آيات الكرم والعِتْق عند العرب .

(٨) قديمة ، عَنَى بها الخمر . وقد جعلها قبل ابتداء الزَّمان ؛ إفراطاً منه فى المبالغة . وقد قابل بين قديمة وحديثة . وأراد بالحديثة المعنى الكلامى ، أى المحدَثة فى وجودها مهما بلغ بها القدم ؛ فإنّه لا قديم عند الكلاميّين إلاَّ ذات الخالق . والآناء : جمع إنى وأنى ، وهو الوقت . أراد : لم يعرف الناس متى اعتُصرت ؛ لبعد عهدهم باعتصارها .

(١) اللسان (٢٠ : ٣١٧) (٢) اللسان (٢٠ : ٣١٦ س ٢ — ٣)

٩ روحٌ بلا جسد تُعينُ بلا قُوًى وَقُوًى خُلِقْنَ خَفِيَّةً مِن ماء
١٠ حتَّى إذا فُطِمت وَحانَ وِصالُها حَجَبَ الرَّقيبُ مَصُونَهَا بوِعاء
١١ فإذا فَضَضْتَ فَضَضْتَ عن مختومةٍ تَرنُو إليـــك بدُرَّةٍ حَمْـــراء
١٢ قَتَلَتكَ وهى صَريعةٌ ، وبديعةٌ أَنْ قِيلَ مَيْتٌ قاتلُ الأحياء
١٣ فهى المُدامةُ ، وَهى بعدُ مُدامةٌ ، لـكنَّهـا زينٌ لَدَى النُّدَماء

---

(٩) بلا جسد : أى ليس لها جِسم ؛ ولذلك لما أنَّها شفَّافة رقيقة . بلا قُوى : أى ليس لها قُوَّة فى ذاتها ، فهى ضعيفة ، ولكنَّ أثرَها فى شارِبها يشهدُ أنها تختَزِن فى مائها قوَّةً عجيبة . خفيَّة : مختفية . وإن قرئت « خِفية » بالكسر كان فى البيت زحاف .

(١٠) فطمت : أى قطعت عناقيدها عن الكرمة ، فكأنها فطمت وفارقت أمَّها . حان وِصالها : أى بلغت مبلغ الوِصال ، وذلك حين تعتصر من العنب ، فكأنها قد تهيأت للزَّواج ، فحجبها الرَّقيبُ عن العيون ، وصانها كما تُصان العذارَى . يعنى أن عاصرها أودعها الدِّنانَ ، بعدَ ما تكامل عَصْرُها .

(١١) ترنو : تديم النظر فى سُكون . يقول : إذا فضضت خِتام دنٍّ هذه الخمر ، بدتْ لك الخمرُ وهى ترنو إليك بعين كأنها الدُّرَّة الحمراء .

(١٢) صرَعه : طرحه على الأرض . وإنما يُطرح الضعيف والقتيل ونحوهما . يَعجَبُ لقتلها النَّاسَ مع ضعفها . وبديعة : أى غريبة من الغرائب لم يسبق لها مَثيل . أنْ قيل : أى قول الناس . فأنْ فيه مصدرية . أى قول الناس : ميت قاتل الأحياء ، غريبةٌ من الغرائب ، وبديعةٌ من البدائع .

(١٣) هى المدامة ، أى هى الخمر . وهى بعد مدامة ، أى يديمها الشَّرب ويطاولون فى شرْبها . زَين : أى مستحسنة . يُريد أن كلَّ شىء يُداوَم عليه ويُعاد فإنَّه يُصبِح

١٤ أعنى محمـداً ابنَ خالدٍ أنَّهُ   مَأوَى الطَّريدِ وقَصْدُ كلٍّ غَناء

١٥ ورثَ النَّدَى وحوى النُّهَى وبنى العُلَى   وَجَلاَ الدُّجَى ورمَى الفَضَا بهُدَاه

١٦ شهدتْ له عُصَبُ المكارمِ أنّهُ   هو ربُّها مِن بَعْدِ ذى الآلاء

قد ملّه الناس وسئموه ، ولكنّ الخمر مع إدامتها ومعاودة شربها ، لا تَضجرُ منها نفوسُ النُّدماء ولا تسأم .

(١٤) أعنى أى أقصد بالنّدماء ، أو أقصد بالصحب (مرّ ذكرهم فى البيت السابع) . القصد : المقصود ، فهو مصدر وصف به . والغَناء ، بالفتح : الكفاية . فمن أراد أن يكتفى قصده . أو الغناء ، بالفتح والكسر : الغِنى ، بالكسر .

(١٥) النَّدى : السخاء والكرم . والنُّهَى : جمع نهيـة ، بالضم ، وهى العقل . والعُلَى ، بضم ففتح : جمع عُليـا ، وهى الفعلة العالية . والدجى : جمع دجية ، بالضم : وهى الظلمة . والفضا : الفضاء ، قصره للشعر ، وهو ما اتّسع من الأرض . والهُـداء : الهُـدى ، مدّه للشعر . يقول : هو كريمٌ مِن كريم ، قد جمع الحزمَ والعقلَ وسادَ المكارم ، وكشفَ شبُهات الرّأيِ ، وظلماتِ الأمور ، ونشرَ هُداه بين الناس فاستضاءوا به .

(١٦) العُصَب ، بضم ففتح : جمع عُصبة ، وهى الجماعة . ربُّها : سيدها . ولا يطلق الربُّ غير مضاف إلاّ على الله عزّ وجل ، وإذا أطلق على غيره أضيف كما هنا . وفى حديث أشراط الساعة : « وأنْ تلِدَ الأَمَةُ ربَّها — أو ربّتَها — » أى سيّدها أو سيّدتها . وقد أطلق الربّ غير مضاف على غير الله ، لكن فى الشّعر . ومنه قول الحارث بن حِلِّزة اليشكُرىّ :

وهو الربُّ والشَّهيد على يو   م الحِيارَين والبـلاء بلاء

أراد به الملك المنـذر بن ماء السماء[1] . و « ذو الآلاء » أى ذو النعم وهو الله تعالى . والآلاء : جمعٌ ، واحده إلْىٌ ، وألْو ، وألْىٌ ، وألًى ، وإلًى .

---

(١) شرح المعلقات للتبريزى ٢٥٤

١٧ صدقَتْ وما كذَبتْ وفيه بدائعٌ   كثُرتْ بدائعُها عَلَى الشُّعَراء
١٨ أنْسَى الملِمَّةَ عندَ وَقْتِ حُلُولِها   فهو الدّواء النَّاتِقُ الأدْواء
١٩ الفخرُ مُفْتَخِرٌ به ، وبه نَمَا   وإليه ، حِينَ سَمَا إلى العَلْياء
٢٠ رجلٌ بَدَا فمَلَا المشارِقَ نُورُه   مُتَهلِّلاً كالجَوْنَة البَيضـــاء

---

(١٧) أى صدقت هذه العُصبُ فى شهادتها له بالسِّيادةَ . والبدائع : جمع بديعة ، وهى الأمر المبتدع على غير مثال سبقه . كثرت على الشعراء : أى مهما أفرَغ الشعراء جهدهم فى سردها وعدِّها فلن يصــلوا إلى استقصائها وجمعها ؛ لـكثرة عَددها ، ووَفرة ضروبِها .

(١٨) الملمّة : الشديدة والمصيبة . وحُلولها : نزولها . وكلُّ شديدة فهى فى أوّلها أليمةُ الوقع ، صعبةُ الاحتمالِ ، ثم تهون شيئاً فشيئاً . يقول : هو مع ذلك ينسى صاحبَها ألمَهُ بجوده العميم ، وكرمه الفائض . الأدواء : جمع داء . الناتق : الرافع ، المقتلع . وفى التنزيل : ﴿ وإذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُم ﴾ جاء فى الخبر أنه اقتلع من مكانه[1] .

(١٩) جعله لعلوه كأنما يفتخر به الفخر . وبه نما : أى الفخر ارتفع به . وإليه : أى ارتفع الفخر إليه ، كأنما هو أعلى منزلاً من الفخر ، سما : أى الممدوح .

(٢٠) متَهلِّلا : حال من الضمير فى بدا . أو من « نوره » تهلَّل : تلألأ . الجَوْنة : الشمس : سميت بذلك لاسودادها إذا غابت ، وقد يكون لبياضها وصفائها . والجَون من الأضداد ، يقال للأسود والأبيض . ومن شواهد البياض قوله :

فبتنا نُعيـــد المشرفيَّةَ فيهم   ونبدئ ، حتّى أصبحَ الجونُ أسْوَدا

وقول الفرزدق :

وجَون عليه الجصُّ ، فيه مريضةٌ   تَطَلَّعُ منها النَّفسُ ، والموتُ حاضِرُه

يعنى قصراً أبيض[2] . فقد استعمَل أبو تمام التورية فى « الجونة » كما ترى .

---

(١) اللسان (١٢ : ٢٨٨)   (٢) اللسان (جون) والأضداد ٩٥ — ٩٧

٢١ وتبسَّمَ العقلُ ابتسامَ أقاحِه　　مُتزَاهِراً عن باكِرِ الأنداء
٢٢ وسَرَى له نجمٌ يوافِقُ نَجْمَه　　فمحَا الظَّلامَ بطَلْعَةٍ زَهْراء
٢٣ فيه المَلاَذُ من الزَّمانِ وجَوْرِه　　ودِفاعُ ما يُخْشَى من الدَّهْيَاء
٢٤ وإذا التِباسُ الرَّأى ألبَسَ حَيْرَةً　　أوفَى عليه بأرْشَدِ الآراء

---

(٢١) الأقاحىّ : نبت ، له زهر أبيض وكأنه ثغر جارية حَدَثة السنّ ، تشبه به ثغور الحِسان ، وهو البابونج ، ومفرده أقحوان ، على أفعلان بضم الهمزة والحاء . ومادته (ق و ح) . وكان الوجه أن يقول « أقاحِيه » أو « أقاحِيّه » ؛ إذ أنَّ الأقحوان يجمع على أقاحىّ وأقاحٍ . فقد ركب الضرورة . وقد عنى بالأقاحى ثغر الممدوح . وتزاهر : أشرق وبدا زهره . والأنداء : جمع ندى ، والباكر منها : ما سقَط أوّلَ النهار وآخر اللّيل . جعل عقلَه فى جماله وإشراقه ، شبيهاً بثغْره .

(٢٢) عنى بالنجم الأول ، نجم المشيب ، وهو الشعرات البيض يظهَرْن فى سواد الرأس وبالنجم الثّانى الحظّ والجدّ . والطَّلْعة الزهراء : المشرقة . ولعله عنى بالظّلام ظلامَ الشّباب وما يكون فيه من نزَق وخفَّة .

(٢٣) الملاذ : الملجأ والمعتصم . والجْور : الظلم . والدَّهياء : المصيبة العظيمة . يقول : إنَّ ذلك الممدوح ملجأ لمن أخنى عليه ريْبُ الزَّمان ، أو لحقتْه أرزاؤه وكوارثه .

(٢٤) التباس الرأى : اشتباهه حتى ما تعرف موضع الصَّواب منه . ألبَسَ حيرةً : أى ألبس الناسَ حيرةً وغشَّاهم بها . أوفى عليه : أشْرف ؛ فكأنه فى تمكّنه منه بموضع المشْرِف من مكانٍ عالٍ ، فهو يملك ما تحتَه ، ويرى ما لا يراه غيره .

٢٥ وإذا الكريهةُ شَبّ نارُ وَطِيسها ثمّ اصطَلَى الأقْصى من الإدْناء

٢٦ أرعَبْتَ صَعْبَ قِيادِها بمهنَّدٍ وتركْتَها كالرَّعْلة العَمْياء

٢٧ هاتيك يا مُسْتفهِمِى أشكالُه ووِراثةُ الأجْدادِ والآباء

٢٨ ولقدرجوتُ،فهل لَدَيْكَ، بحاجةٍ وعلمتُ أنَّكَ لا تُخيِبُ رَجَائى

٢٩ إنِّى امتدَحْتُك لا لِفائدةٍ ولا هِممى جَزاء مَدائحى بجَزَاء

(٢٥) الكريهة : الحرب . وشبّت النّارُ : اشتعلت وتوقّدت . والوطيس : المعركة ؛ لأنّ الخيل تطِسُها بحوافرها . والوطيس : الضِّراب . والأقصى : الأبعد . اصطلى : تعرّض لها حتّى أصابه حرُّها . والمراد شدّة الحرب وأهوالها . والإدناء : التّقْريب .

(٢٦) المهنّد : السيف المطبوع من حديد الهند . والرّعلة ، بالفتح : النعامة . وبها يُضرب المثل فى الحيرة والتردُّد ، فإذا كانت عمياء سكن ما بها من هوَج وخفَّ اضطرابها . يقول : هو يُخمِد سورة الحرب ويطفئ جذوتها ، بشديد بأسه ، وعظيم سطوته .

(٢٧) أشكاله : أى مذاهبه وطرقه . والشكل : المذهب والطريقة . يقول : هذه مذاهبه ورث مثلها عن آبائه وأجداده .

(٢٨) رجوت بحاجته : أى رجوتها ؛ فزاد الباء . قال الرّاجز[١] :

نحن بنو جعدةَ أصحاب الفَلَجْ نضربُ بالسيف ونرجو بالفرج

أى نرجو الفرج . وقال الفراء[٢] : « سمعت رجلاً من العرب يقول : أرجو بذلك . فسألته ، فقال : أرجُو ذاكَ » . فهل لديك : أى فهل لديك قضاؤُها .

(٢٩) يقول : لم أمدحكَ لأحصل على مال ، وليس من همتى أن أُجزى على مدائحى بجزاء ، فأنا أرفع من ذاك .

(١) اللسان (٢٠ : ٣٢٩) وأدب الكاتب ٣٩٨ (٢) اللسان (٢٠ : ٣٢٨)

٣٠ لـكنْ أرُومُ به احتِياطَكَ إنّه   فيما لَدَيك لبُغيتى وغَنــائِى

(٣٠) أروم : أقصد . احتياطك : أى أن تحتاط بى . يقال : احتاط به : إذا أحدق . والمراد : الصّوْن والرّعاية . فيما لديك : أى بين ما عندك . والبغية : المطلب . والغناء ، بالفتح والمد : أراد الكفاية . أى إنّما أقصد بشِعرى أن أظفر برعايتك ، فإن هذه الرّعاية غاية ما أطلب وأتمنّى .

باب الرِّثــاء

١

قال يرثى خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى (*)

١ نَعَاءِ إلى كُلِّ حيٍّ نَعَاء   فَتَى العَرَب اختَطَّ رَبْعَ الفَنَاءِ

٢ أُصِبْنَا جميعاً بسَهمِ النِّضالِ   فهلاَّ أُصِبْنا بسَهْمِ الغِلاءِ

(*) تقدمت ترجمته فى القصيدة الأولى من المديح . وكان خالد بن يزيد بن مزيد والى أرمينية زمان الواثق . ومات سنة ٢٣٠ (١) . وفى هبة الأيام ٣٠٧ : « ولما انتقض أمر أرمينية فى أيام الواثق جهز إليها خالداً فى جيش ، فاعتل فى الطريق ومات فى سنة ثلاثين ومائتين » . وهذا الانتقاض هو ما يشير إليه البيت ٥٤ من القصيدة .

(١) نعاء : اسم فعل أمر ، أى انع . ونعى الميت ينعاه : أظهر خبر وفاته . حىّ : أى ذو حياة . أو الحىّ : واحد أحياء العرب ، وهو البطن من بطون قبائلهم . وفتى : معمول نعاء . اختطّ : أى نزل وأقام . وأصل الاختطاط أن يُعلِمَ على الأرض علامةً بالخط ؛ ليُعلَمَ أنه قد احتازها ليبنيها داراً . والرَّبع ، أصلهُ المنزل فى وقت الربيع ، ثم صار عامّا .

(٢) سهم النضال ، عنى به سهم الدِّفاع والحرب . ناضل يناضل : دافع . وسهم الغِلاء ، بكسر الغين : السهم الذى يقدّر به مدى الأميال والفراسخ والأرضِ التى يُستَبق إليها ؛ فالغلوة قدْر رميةٍ بسهم ، والفرسخ التامّ خمس وعشرون غلوة . كذلك كان يعتبر العرب . وليس لسهم الغِلاء نصل ، إنما هو عود (٢) . يقول : قد أُصِبنا فى وفاته بسهمٍ صائب قاتل ، فهلاّ أصبنا بسهم آخرَ لايقصد به القتل ولا يراد ؟ !

(١) أخبار أبى تمام للصولى ١٥٨ — ١٦٦   (٢) شرح الأنبارى للمفضليات ص ١٨١ س ٦

٣ ألاَ أيُّهـــا الموتُ فجَّعتَنا بماء الحياةِ وماء الحياء
٤ فماذَا حَبَوْتَ به حاضِراً وماذا خَبأتَ لأهْـلِ الِخْباء
٥ نَمَاه نَعاه شقيقَ النَّدَى إليه نَعيًّا قَليـــلَ الَجْدَاء
٦ وكانا جميعاً شريكَىْ عِنانٍ رضيعى لِبانٍ خليـــلَىْ صفاء

(٣) فجَّعة بالتشديد ، كفَجَعه ، بالتخفيف : أوجعه بشىء يكرُم عليه فيُعدِمُه إيَّاه . والحياء : الحِشْمة . أراد بالماء الأوّل ماهو قِوام الحياة ، و بالثانى الحُسْن والرَّونق .

(٤) حبوت : أعطيت . والحاضر : من يسكن الحواضر ، يقابله البادى : مَن يسكن البادية ، وهم من عبَّر عنهم بأهل الخباء . والخباء ، بالكسر : البيت من وبر أو صوف أو شعر .

يقول : قد أزعجتَ بفقده الناس قاطبةً ، فلم تترك حاضراً ولا بادياً .

(٥) نماه نعاه : انعه انعه . جعله شقيقاً للندى لملازمته إياه . إليه : أى إلى الندى ، اى انعه إليه نَعيًّا . والنعىّ ، كغنىّ : مصدر كالنَّعْى . والجَدَاء ، بالفتح والمدّ : الغَناء والنَّفْع . قال ابن برّى : شاهده قول مالك بن العجلان :

لَقَلَّ جداءً على مالكٍ إذا الحربُ شبّت بأجْذالها

(٦) شركة العنان ، بكسر العين : أن يُخرج كلٌّ واحدٍ من الشريكين دراهمَ أو دنانيرمثلَ ما يخرجُ صاحبه ، ويخلطاها ، ويأذنَ كلٌّ واحد منهما لصاحبه أن يتّجر فيه ؛ فإن ربحا فى المالين فبينهمَا ، و إن وُضِعا فعلى رأس مالِ كلّ واحدٍ منهما . وسُمِّيت شركة عِنان لمعارضة كلّ واحد منها صاحبه بمال مثل ماله ، وعمل مثل عمله ، بيعاً وشراء . يقال عانّه عناناً ومُعَانّة . وأما شركة المفاوضة فأن يشتركا فى كل شىء فى أيديهما ، وفيما يستفيدانه من بَعد . قال النابغة الجعدى :

٧ على خالدِ بنِ يزيدَ بن مزْ يدٍ أمْرِ دمعاً نجيعاً بماء

٨ ولا تَرَيَنّ البُكا سُبَّةً وألصِقْ جَوًى بلَهيبٍ رَواء

٩ فقد كبّرَ الرُّزْء قَدرَ الدُّموعِ وقد عظّمَ الخَطْبُ شأنَ البُكاء

١٠ فباطنُه مَلجأٌ للأسَى وظاهرُهُ مِيسَمٌ للوَفاء

وشاركنا قُريشاً في تُقاها وفي أحسابها شِرْكَ العِنانِ

رضيعي لِبان : أي شربا من ثدي واحد ، ورضعا رضاعاً واحداً . واللِّبان بالكسر : الرَّضاع ، يقال هو أخوه بلبان أمه ، ولا يقال بلبن أمّه . يقول : كان شريكا للندى وأخاً وخليلا .

(٧) أمرى الدمع : أجراه وأساله . وفي الحديث : «أمْرِ الدَّمَ بما شئت[1] » . والنجيع : الدم المصبوب ، وبه فسر قول طرفة :

عالين رقماً فاخراً لونهُ من عبقريٍّ كنجيع الذَّبيح

دمعا نجيعا بماء ، أي ممزوجا . وصف أبو تمام الدَّمع بما يُوصف به الدَّم . وأصله أنّ كثرة البكاء تَمْرِه العين وتُدميها ، فيختلط الدَّمع بالدم ، فما يكادان يستبينان .

(٨) السُّبّة : ما يسب به المرء ويعيّر . والجوى : الحزن . والرواء ، بالفتح والمد ، أصله الماء الكثير . أراد بلهيب عظيم .

(٩) الرُّزء : المصيبة ، ومثلها الخطب . يقول : على مثل هذا الفقيد فليبكِ الباكي . وإن يكن البكاء على غيره عاراً ومسبّة ، لا تليق بالرجال ، فإنّ فداحة الخطب فيه جعلت للبكاء شأناً .

(١٠) أي أنّ البكاء في حقيقته ملجأ للحزن ، يلجأ إليه الحزين ، وظاهره علامة على الوفاء .

---

(١) أي أسله وأجره بما شئت ، يريد الذبح .

١١ مَضى المــلكُ الوائلىُّ الذى حَلَبْنا به العَيشَ وُسْعَ الإِناء

١٢ فأوْدَى النّدَى ناضِرَ العودِ والــفُتُوَّةُ مغموسةً فى الفَتَاء

١٣ وأضحَتْ عليه العُلاَ خُشَّعاً وبيْتُ السّماحةِ مُلقَى الـكِفاء

١٤ وقد كانَ مِمَّا يضىء السّر يرُ ، والبَهْوُ يملؤه بالبَهــاء

١٥ سَلِ المُلْكَ عن خالدٍ والملو كَ بقَمْعِ العِدَى وبنَفْى العِـداء

---

(١١) الوائلى : نسبة إلى وائل ؛ إذ أنّ شيبان هم بنو ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على ابن بكر بن وائل . والعيش : المعيشة . وحَلَب العيشَ : أراد حصل عليه . وحلب وسْع الإناء ، بفتح الواو وضمها : أى طاقته وملأه . أراد عشنا فى كنفه عيشاً رغداً واسعاً .

(١٢) أودى : هلك . أى أودى الجود بهلاك هذا الممدوح . والفتوّة : الكرم . ويُوهِم مَن يظنّها القوّة والشّدّة . والفَتاء : الشَّباب .

(١٣) العُلاَ : جمع العُليا ، وهى الصفة أو الفعلة العالية : خُشّعا : خاشعة ذليلة لموت سيّدها وربها . والسماحة : الكرم . والكِفاء ، بالكسر : سُترة فى البيت من أعلاه إلى أسفله فى مُؤَخره ، أو كساء يلقى على الخباء كالإزار حتّى يبلغ الأرض . يقول : تهدّم بعده بيتُ الجود .

(١٤) السرير : الذى يجلس عليه ، عنى به سرير الإمارة . والبهو : واحد الأبهاء ، وهو البيت المقدم أمام البيوت . والبهاء : الحسن . أى كان سريرُه مصدر ضوء ، أو كان هو يضىء سريرَه بسَناه و بهائه .

(١٥) الباء فى « بقمع » بمعنى « عن » قال الله : ﴿ فاسْألْ بِهِ خَبِيراً ﴾ أى عنه . القمع : القهر . والعدا : الأعداء . والعِداء ، بالمدّ : العداوة . أى كان يقهر أعداءه ويستلّ سخائمهم باذلالهم واستعبادهم . أو هو يتألّف الناس حولَه بجوده و إحسانه .

١٦ ألم يَكُ أقتَلَهُمْ للأُسُو دِ صَبْرًا ، وَأوْهَبَهُمْ للظِّبـاء

١٧ ألم يجْلِب الخيلَ من بابلٍ شـوازبَ مِثْلَ قِداحِ السَّراء

١٨ فمدَّ على الثَّغْرِ إعْصارَها برأيٍ حُسامٍ ونَفْسٍ قَضَـاء

١٩ فلمـــا تراءتْ عفـــارِيتُه سَنـاً كوكبٍ جاهِلِيٍّ السناء

(١٦) عنى بالأُسُود هنا الشُّجعان . قتله صبراً : حبسه للموت وقتله . ومنه قيل للرجل يقدّم فيضرب عنقه : قُتِل صبراً ، أى أُمْسِك على الموت . الظباء ، بالكسر : جمع ظبى ، أراد بها الحسان الجميلات من القيان والجوارى ، اللاتى يَهَبُهنَّ لمن أراد أن يثيبَه أو يكافئه .

(١٧) بابل . اسم ناحية ، منها الكوفة والحلّة . والشوازب : الضوامر . شازب : ضامر . والقداح : جمع قدح ، بالكسر ، وهو السَّهم . والسَّرَاء ، بالفتح والمدّ : شجر تتخذ منه القسى والسهام . جعل الخيل كالسهام فى استوائها وضمورها . وفى الحديث : « أنه كان يسوِّى بين الصفوف حتى يَدَعَها مثل القِدْح » .

(١٨) الثغر : أحد ثغور الشام ، وهى بلاده القريبة من بلاد الروم ، فمنها المصيصة وطرسوس وأذنة . والإعصار ، بالكسر : الريح الشديدة تثير السحاب أو الغبارَ الشديد . جعل الخيل فى سرعتها ، أو فى تدميرها ما تلقاه ، كالإعصار . والحسام : السيف القاطع . أراد برأيه القاطع . نفس قضاء : أى نفسه كالقضاء فى حكمها . وفى الأصل : « فضاء » بالفاء .

(١٩) تراءت . رأت ، وفى اللسان[1] : « تراءينا فلاناً : أى تلاقينا فرأيته ورآنى » . وقال أبو ذُؤيب الهذلىّ :

أبىَ الله إلا أن يُقيدَكَ بعدما تراءيتمونى من قريب ومَوْدِقِ

أى رأيتمونى .

(١) اللسان (١٩ : ١٢)

٢٠ وقد سَدَّ مَنْدُوحةَ القَاصعاء منهمْ وأمسَكَ بالنَّافقاء

٢١ طوى أمرَهم عَنوةً فى يدَيْهِ طىَّ السجِلِّ وطىَّ الرِّداء

٢٢ أقرُّوا لَعَمْرِى بحُكمِ السُّيوفِ وكانَتْ أحقَّ بفصْلِ القَضاء

٢٣ وما بالولاية إقرارُهم ولكنْ أقرُّوا له بالوَلاء

عفاريته : أى عفاريت الثَّغْر فى البيت قبله . وأراد بهم أعداء خالد . جعلهم عفاريت تمهيداً لما يريد أن يشبه به خالداً من أنه كالكوكب . عفاريت : فاعل . وسنا : مفعول . السنا ، بالقصر : الضوء . والسناء ، بالمد : رفعة المنزلة . وأراد بالجاهلى أنّه عريق فى رفعته ؛ إذ كان آباؤه فى الجاهلية أصحابَ مَجْدٍ وحسَب . جعل خالداً فى هجمته على أعدائه من أهل الثغر ، كالكوكب الذى ينقضّ على الشيطان ، فيمحقه ويدحره .

(٢٠) المندوحة : السَّعة والفُسْحَة . والقاصِعاء إحدى جِحَرة اليرْبوع ، والنافِقاء كذلك ؛ فإن اليربوع يصنع لنفسه أجْحاراً سبعة ، وهى القاصعاء ، والنّافِقَاء ، والدامَّاء ، والراهطاء والعانقاء ، والحاثياء ، واللُّغَيْزَى . فاذا طُلب من أحدها خرج من الآخر . أراد أبو تمام أن خالداً ضيق على أعدائه الخِناق ، وقَعَدَ لهم كلَّ مَرْصَد .

(٢١) طوى ، جواب « لمّا » فى البيت الأسبق . طوى أمرهم فى يديه : غلبهم على أمرهم وتمكن منهم . والسِجلّ : الصحيفة يكتب فيها ، يطويها صاحبها بعد الكتابة طيًّا محكماً . وكذلك الرِّداء يُطوَى فيستبين فيه الطىُّ .

(٢٢) كانت : أى السيوف . والفصل : الحُكْم الفاصل . وكان هنا للدَّوام ، مثل : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ . أى أنَّ السيوف جديرةٌ أبداً أن تكون ذاتَ الحكْم الفاصلِ ، والقضاء الحاتِم .

(٢٣) يقول : لم يُقِرُّوا له إذعاناً لسلطان الولاية والحكم ، ولكنْ أذعنوا له وَلاءً

٢٤ أُصِبْنا بِكَنْزِ الغِنى ، وَالإما　　مُ أَمْسَى مُصاباً بِكَنْزِ الغَناء
٢٥ وما إنْ أُصيبَ براعِي الرعيـة ، لا بَلْ أُصِيبَ براعى رِعاء
٢٦ يقولُ النِّطاسِيُّ ، إذْ غُيِّبَتْ　　عن الدّاء حِيلتُه والدَّوَاء :
٢٧ نبوُّ المَقِيلِ به والمَبيتِ　　أَقْعَصَهُ واختلافُ الهواء
٢٨ وقد كان — لو رُدَّ غَربُ الحِمَا　　مِ — شديدَ توقٍ طَويلَ احتماء

ومحبّة . أى أنّه بعد قهرهم تمكّن أن يسوسهم على المحبّة والودّ ، وأن ينتزع أضغانَهم . وكذلك يفعل دُهاة الفاتحين ليستقرَّ لهم ملكهم ، ولا ينتقضَ عليهم أحد .

(٢٤) أى حُرِمنا بموته من العطاء ، كما حُرِم الخليفة ممن كان يكفيه أمورَه . والغناء ، بالفتح والمدّ : الكفاية .

(٢٥) الرعاء ، بالكسر : جمع راعٍ ، أرادبه القائد . يقول : قد أصيب الخليفة بفقد قائدِ قوّادِه ، لا قائدِ رعيّته .

(٢٦) النِّطاسى ، بالكسر : الطبيب الحاذق . أى خَفِي على الطّبيب معرفةُ الدّاء والدّواء .

(٢٧) نبوّ : مِن نبابِهِ منزلُه : لم يوافقه . والمَقِيل : موضع القيلولةِ ، وهى النّوم نِصفَ النهار . أقعصه : قتله مكانه . أى قال الطبيب : إنّ انهماكه فى السفر ، واختلافَ المواضع التى كان يحلُّ بها — قد أودى بحياته .

(٢٨) القول هنا لأبى تمام ، لا للطبيب . أى كان شديدَ التحفُّظ مديماً للاحتماء ، حريصاً فى رعاية نفسه . والغَرب : الحدّ ، حدّ السلاح . والحمام ، بالكسر : الموت . أى أن حكم الموت لا مردّ له .

٢٩ مُعَرَّسُهُ فى ظِلالِ السُّيوفِ ومَشْرَبه من نجيعِ الدِّماء
٣٠ ذُرى المِنْبَرِ الصَّعبِ من فَرشِه ونارُ الوغَى نارُه للصِّلاء
٣١ وما مِنْ لَبُوسٍ سِوَى السابغاتِ تَرَقْرَقُ مِثلَ مُتُونِ الإِضاء
٣٢ فهل كان — مذْ كانَ فيما مَضَى — حَميداً له غيرُ هذا الغِذاء
٣٣ أذُهلَ بنَ شَيبانَ ذُهلَ الفخارِ وذُهلَ الفَعالِ وذُهْلَ العَلاء
٣٤ مضى خالدُ بنُ يزيدَ بنِ مزْ يدٍ قمرُ اللَّيـــلِ شَمْسُ الضَّحاء

(٢٩) المعرَّس : موضع التعريس ، وهو النُّزول من آخر الليل للاستراحة . والدم النجيع : القانئُ . جعله لولعه بالحرب كأنَّما يشربُ دماءَ أعاديه .

(٣٠) الذُّرَى : الأعالى . المنبر الصعب : أراد مواضع الخطابة فى المواقف الجليلة ، حين يعزّ القول ، ويستعصى البيان . والفَرش : ما فُرش من متاع البيت . والوغى : الحرب . والصِّلاء ، بالكسر : الوَقود للاستدفاء أو القرى . يقول : قد استعاض عن نار الصِّلاء بنار الوغَى .

(٣١) اللَّبوس ، بالفتح : ما يُلبَس . والسابغات : الدروع السابغة ، وهى التامّة الطويلة . ترقرق : تلمع ، وأصلها تترقرق بتاءين ، فحذف إحداهما . والإضاء ، بالكسر : جمع أضاةٍ ، بالفتح ، وهى المستنقع من سيل وغيره . والمتون : جمع متن ، وهو الظَّهر . أراد أنَّ الدروع تتلألأ ، مثلَ وجوهِ الغُدران إذا داعبتها النَّسائم .

(٣٣) ذهل بن شيبان : قبيلة خالد المرثى . والفعال ، بالفتح : الفعل الحسن ، والكرَم .

(٣٤) الضَّحاء ، بالفتح والمد : ما بعد ارتفاع الشمس إلى قريب من نصف النهار والضحا ، بالضم والقصر : من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار .

٣٥ وخلّى مَسَاعِيَهُ بينكم فإيّاىَ فيها وسَعْىَ البِطاء
٣٦ رِدُوا الموتَ مُرًّا وُرودَ الرجا لِ وأبْكوا عليه بُكاءَ النِّساء
٣٧ غليلى عَلَى خالدٍ خالدٌ وضيف همومى طويلُ الثَّواء
٣٨ فلم يُخْزِنى الصَّبْرُ عنه ولا تَقَنَّعْتُ عاراً بلَوْم العَزاء
٣٩ تذكَّرتُ نَضرةَ ذاكَ الزَّمانِ لديه وعُمرانَ ذاكَ الفِناء

(٣٥) خلّى : ترك . والمساعى : مآثر أهل الشرف والفضل . والبطاء : جمع بطىء . أى سيروا فى أثره سيرا حثيثا لا هوادة فيه ، وافعلوا مثل ما كان يفعل . و إياى : تحذير . والأصل فى التحذير أن يكون للمخاطب ، تقول : إياكَ والشر . لكن سمع فى قلة التحذير للمتكلم . سمع : « إياى أن يحذف أحدكم الأرنب » . وتأويله : نحّ حذف الأرنب عن حضرتى (١) . وفى حديث عمر بن عبد العزيز : « إيّاىَ وكذا » أى نحّ عنّى كذا ونَحّنى عنه (٢) . كما سمع التحذير للغائب ، فيما روى الخليل عن العرب : « إذا بلغ الرجل السِّتّين فإيّاه و إيّا الشَّوابِّ (٣) »

(٣٦) رِدُوا : من وَرَد الماء : أتاه ليشرب منه . أراد : أقدِمُوا على الحرب إقداماً ، كما كان يفعل ، لا يبالى الموت .

(٣٧) الغَليل : حرارة الحزن . والثَّواء : الإقامة .

(٣٨) أى لم أصبرْ عنه فيلحقنى الخِزْى ، فليس يحسُنُ الصّبرُ على فقيدٍ مثلِه . تقنّع العارَ : جعله كالقِناع ، وهو ما تُقنّع به المرأة رأسَها . والعَزاء : الصّبر .

(٣٩) العُمران ، بالضم : أن يكون عامراً . والفِناء ، بالكسر : ما اتّسع أمامَ الدّار . يتحدّث عن كرمه وجُوده ، وازدحام فِنائه بطُلّاب المعروف .

(١) همع الهوامع (١ : ١٧٠) . (٢) اللسان (٢٠ : ٣٢٦) .
(٣) اللسان (٢٠ : ٣٢٥) وسيبويه (١ : ١٤١ س ٨) .

٤٠ وزُوّارُه للعطايا حُضورٌ كأنّ حُضورَهُمُ للعَطاء

٤١ وإذ عِلْمُ مَجْلِسِه موردٌ زُلَالٌ لتلك العُقولِ الظِّماء

٤٢ تحُول السَّكينةُ دُونَ الأذَى به والمروءةُ دُونَ المِراء

٤٣ وإذْ هو مُطْلِقُ كَبْلِ المَصِيفِ وإذ هو مِفتاحُ قَيدِ الشتاء

٤٤ لقد كان حَظِّىَ غيرَ الخسيسِ مِنْ راحَتَيهِ وغَيْرَ اللَّفاء

٤٥ وكنتُ أراه بعَيْنِ الجَلَالِ وكان يرانى بعَينِ الإِخاء

---

(٤٠) العطايا : جمع عطيَّة ، وهى ما يوهب من مال ونحوه . حُضور ، الأولى : جمع حاضر ، والثانية : مصدر لحضر . والعطاء : العطيّة ، لـكن غلب استعمالُه فى لغة الحِضارة على أعطية الجند ورجال القبائل من بيت المال . جعل تزاحُمَ النَّاسِ على بابه مثلَ تزاحُم مَن لهم العطاء على باب بيت المال .

(٤١) علم مجلسه : أى ما يكون فى مجلسه من العلم يتداوله العلماء والأدباء . والمورد : المشْرَب . والزُّلال ، بالضم : البارد العذب الصافى . الظِّماء : العِطاش .

(٤٢) السكينة : الوقار والوداعة والأمن . أى تحول السكينة دون أن يكون بذلك المجلس أذى ، كما تحول المروءةُ دون أن يكون به مراء . والمراء ، بالكسر : الخصومة والجدل والخلاف . وإنَّما يكون اللجاج والخصومة فى مجالس الغوغاء .

(٤٣) أى وتذكرت إذ هو . والـكبل ، بالفتح ويكسر : القيد العظيم . والمصيف : الصيف . أى هو يعالج أزمات النّاس فى صيفهم وشتائهم ، بوافر جوده وسماحه .

(٤٤) الخسيس : القليل ، ومثله : اللَّفاء ، بفتح اللام .

(٤٥) الجلال ، بالفتح : العظمة .

٤٦ أَلَهْفِي على خالدٍ لَهفـــةً تكونُ أمامى وأُخْرى وَرائى

٤٧ أَلَهْفِي إذا ما رَدَى للرَّدَى أَلَهفى إذا ما احتَبَى للحِبــاءِ

٤٨ أَلَحْدٌ حَوَى حَيَّةَ المُلْحِدِينَ ولَدْنُ ثَرًى حَالَ دُونَ الثَّرَاءِ

٤٩ جَزَت مَلِكاً فيه ريًّا الجَنُوبِ ورائحةُ المُزْنِ خيرَ الجزاءِ

(٤٦) ألهفى ، أراد : يا لهفى . وهى كلمة يتحسّر بها على الفائت . أى لهفة كبيرة تحيط به

(٤٧) ردَى : أسرع . وأصله للفَرَس ، رَدَى يردِى . والرَّدَى : الموت . يتحسّر على ما كان من إسراعه فى الحرب إلى الموت لا يهابه ، وعلى ما كان من احتبائه للعطاء والمِنَح . والاحتباء : أن يشتمل بالثوب ، أو أن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها . وكأنها كانت جلسة الأجواد والكرماء :

بَيْتــاً زُرَارةُ محتبٍ بفِنــائه ومجاشعٌ وأبو الفَوارِسِ نَهشَلُ(١)

وقد يكون الاحتباء باليدين عِوضَ الثوب(٢) .

(٤٨) اللَّحد : القبر . الملحدين : جمع ملْحد ، وهو الشاكّ فى الله ، المائل عن الحق . يَعجَبُ كيف ضم هذا القبر ذلك الرجل ، الذى هو كالحيّة للملحدين ، يحاربهم حتى يعودوا إلى الحقّ أو يقتلوا . والحيّة مثلٌ فى الانتقام والأذى . واللَّدْن : اللين . والثّرى : التراب النديّ . والثراء : الغِنى . يقول كيف حال ترابُ هذا القبرِ دونَ الغِنى الذى كان يُفيضه على الناس .

(٤٩) ريّا الجنوب ، أراد الجنوب الريَّا ، من الريِّ ، هو ريَّانُ وهى ريًّا . والجَنُوب : الريح التى تقابل الشَّمال . قال الأصمعيّ : إذا جاءت الجنوبُ جاءَ معها خيرٌ وتلقيح ، و إذا جاءت الشمال نَشَفت . وتقول العرب للاثنين إذا كانا متصافيين : « ريحُهُما جنوب » ،

(١) ديوان الفرزدق ٧١٤ (٢) اللسان (١٨ : ١٧٥)

٥٠ فكمْ غيّبَ التُّربُ من سُؤْدُدٍ   وغالَ البِلَى من جميل البَلَاءِ

٥١ أبا جعفرٍ لِيُعْرِكَ الزَّمَانُ   عَزاءً ويَكْسُكَ ثوبَ البَقاءِ

٥٢ فما مُزْنك المُرتَجى بالجَهامِ   ولا رِيحُنَا مِنك بالجِرْبِيَــاءِ

و إذا تفرقا قيل : « شملت ريحهما » . والريَّا ، أيضاً ، الرائحة ، وليست مرادة . ففي الكلام تورية . وكذلك « الرائحة » ليس يريد بها رائحة الشيء وعُرفه ، و إنما هي اسم فاعل من راح يروح : إذا سار وقتَ الرواح ، وهو العشي[1] . والمزن : السحاب ذو الماء . استسقى لقبره المطرَ .

(٥٠) السؤدد : السيادة ، فإن همزت ضممتَ السِّين والدّال ، و إن لم تهمز فتحت الدّال . والبلى ، بالكسر والقصر : الهلاك . والبلاء بالفتح والمد : الإنعام والإحسان . قال زهير :

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم   وأبلاهما خير البــلاء الذى يبلو

(٥١) أبا جعفر ، يخاطب الخليفة الواثق ابن المعتصم ، وأبوجعفر كنيته . ولى الخلافة سنة ٢٢٧ عقب وفاة المعتصم . وتوفى سنة ٢٣٢[2] . وأبوه المعتصم هو الذى كان همَّ بنفى خالد بن يزيد بن مزيد إلى مكة[3] . أعاره الزمان عزاء : منحه الصبر على فقد هذا القائد

(٥٢) المزن : السحاب ذوالماء . والجهام ، بالفتح : السحاب الذى لاماء فيه ، أوالذى قد هَرَاق ماءه . وريح الجِرْبِياء : ريح الشَّمال ، وهى تقشَع السحابَ فلا يكون فيها خير . وعجيب من أبى تمام أنْ يمدح الخليفة الواثق فى قصيدةٍ جعلها لرثاء رجلٍ ، ثم هو أيضاً يُسهب فى هذا المدح حتَّى يكاد ينسى معه الرِّثاء .

---

(١) العشى والعشية : آخر النهار والجمع عشايا وعشيات .   (٢) التنبيه والإشراف ٣١٢ .
(٣) انظر القصيدة الأولى ص ١١ .

٥٣ ولا رجعت فيك تلك الظنونُ حَيَارى ولا انسدّ شِعب الرَّجَاء
٥٤ وقد نُكِسَ الثَّغرُ فابعثْ له صُدورَ القَنَا فى ابتغاء الشِّفاء
٥٥ فقد مات جدُّك جدُّ الملوك ونجم أبيك حديثُ الضيـــاء
٥٦ ولم يَرْضَ قَبْضَتَه للحُسامِ ولا حَمْـــلَ عاتِقِه للّواء

---

(٥٣) حَيَارى : من الحيرة . يقول : هو لا يخيب ظنَّ قاصدِه . والشعب ، بالكسر : الطريق فى الجبل .

(٥٤) الثغر : موضع المخافة ، والمراد به بلاد الشام القريبة من بلاد الروم . نُكِس : أصابته النكسة وهى المرض بعدالشفاء . يريد : شق عصا الطاعة . والقنا : الرماح . يقول : أرسلْ إليهم من الجند من يؤدِّبهم ، ويردُّهم إلى الإذعان والطاعة . ويُفهم من هذا البيت أنه كان لأبى تمام دخول سياسى فى أمور الدولة .

(٥٥) أراد بجدِّه هارون الرشيد ، وهو أبو والده المعتصم . وأبو الواثق هو المعتصم ، ولى الخلافةَ سنة ٢١٨ بعد وفاة أخيه المأمون ، وكانت ولادته سنة ١٧٨ وتوفى سنة ٢٢٧ .

(٥٦) لم يرض قبضته للحسام : أى لم يكتف بإمساكه للسَّيف . والعاتق : المنكب . واللواء : الرَّاية ؛ يحملها القائد[١] . وأبو تمام يمدح المعتصم بالأبيات الآتية . وكان المعتصم يُسمى الخليفة المثمَّن لأنَّه كانت له ثمانية فتوح عِظام ، منها أسر بابك والمازيار بن قارن صاحب جبال طبرستان ، وقهره المحمِّرة من الخُرَّميَّة وكانوا مائتى ألف قد عظُمت شوكتُهم ؛ وأسْرُه البوارجَ ، وهى مراكب الهند ، ثم إجلاؤه الزُّطّ عن البطائح ، ثم هزيمة الأفشين لتوفيل ملك الروم ، ثم فتحه عَمُّوريَّة[٢] .

---

(١) كان العرب يعقدون للقائد لواء .
(٢) التنبيه والاشراف ٣٠٧ — ٣٠٨ .

٥٧ فما زالَ يَفْرَعُ تلك العُلَا   مَعَ النَّجمِ مُرْتَدِياً بالعَماء
٥٨ ويَصْعَدُ حتّى لظنَّ الجهُو   لُ أنَّ له مَنزِلًا فى السَّماء
٥٩ وقد جاءنا أنَّ تلك الحرُوبَ   إذا حُذِيتْ فالتَوتْ بالحِذاء
٦٠ وعاودها جَرَبٌ — لم يَزَل   يُماوِدُ إشْعافَها بالهِناء
٦١ مَتَحْتَ بسَجْلٍ لها كالسِّجالِ   ودَلْوٍ إذا أُفْرِغَتْ كالدِّلاء

(٥٧) العلا : جمع عُليا ، وهى المنزلة العالية . يفرع : يصعد ، فرع كمنع : صعد . وفى الأصل : « يقرع » بالقاف ، وليس بشىء . والعَمَاء ، بالفتح : السحاب المرتفع . أى لم يزل يرتفع إلى العلا ، و يطاول النُّجُومَ والسُّحب .

(٥٨) أى يصعد إلى العلا ، حتى خالَ من لا يعرف أمره ، أنّ منزله فى السماء لا الأرض .

(٥٩) جاءنا : أى عرفْنا . حُذيت : أُلبست الحِذاء . التوتْ بالحذاء : تلف حذاؤها فالتوت فى سيرها . جعل الحرب كالبعير ذى الحذاء . والحذاء : النعل للبعير والفرس . والتواء الحرب : خمود نارها وسكونها

(٦٠) الهناء ، بالكسر : القطران يهنأ به البعير الأجرب ، أى يطلى به . إشعافها بالشين المعجمة : أراد طلاءها . والذى فى اللسان والقاموس : « شعَف البعير بالقطران — كمنع — : طلاه » . وأبو تمام ثقة . يقول : إذا خبت نار الحرب أو أوشكت ، جدَّ هو فى تأريثها و إشعالها ؛ فهو ربٌّ حروب ، وصاحب وقائع .

(٦١) متحت ، يخاطب الواثق : أى نزعت الماء من البئر . لها : أى للحرب التى شبهها بالنَّاقة . سَجل كالسِّجال : أى دَلو عظيمة . كأنهاَ فى عظمها مجموعة من السجال . عنى أنّه اقتفى أثر والده المعتصم فى الحروب ، وسَقَى الحربَ وروّاها .

٦٢ ومِثْلُ قُوَى حَبْلِ تلك الذرا ... عِ كانت لِزازاً لتلك الرِّشَاء

٦٣ فلا تُخْزَ أيّامُه الصّالحاتُ ... وما قَدْ بَنَى من جليلِ البناء

٦٤ وقد عَلِمَ اللهُ أنْ لن تُحِبَّ ... شَيئاً كحُبّك حُسْنَ الثَّنـــاء

٢

وقال يعزِّى مُحمّد بن سعيدٍ بابنه* :

(٦٢) قُوَى الحبل : طاقاته التى يفتل منها ، الواحدة قوّة . وقد أراد بالحبل هنا العِرْق فورّى عنه ، وأرادبه عرق ذراع الممدوح ، وهو الواثق . واللزاز ، بالكسر : ما يلزّ به الشيء : أى يشدّ ويلصق . والرشاء ، بالكسر : حبل الدلو . وقد أنث « الرشاء » بالإشارة قبله . فلعلها لغة . يقول : إن هذا الممدوح خير من يمتح ، وعرق ذراعه خير لزاز لذلك الرشاء .

(٦٣) راوح أبو تمام بين مدح الواثق وأبيه المعتصم . فهو فى هذا البيت يمدح المعتصم ويأسف على أيامه الصالحات يقول : أكرمها الله ولا أخزاها .

(٦٤) وهو هنا يمدح الواثق ، ويقول: إنه يحب حسن الثناء على أفعاله ، فهو مغرم بما يستحق الثناء عليه .

(*) هو محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل . والحسن بن سهل كان وزيراً للمأمون . وفى محمد يقول أبو تمام[1] :

محمد بن سعيد أرعِنى أذناً ... فما بأذنك عن أكرومة صمم

لم تسق بعد الهوى ماء على ظمأ ... ماء كقافيـة يسقيكه فهم

من كل بيت يكاد الميت يفهمه ... حسناً ويحسده القرطاس والقلم

(١) الديوان ٤٠٩

١ أمحمدَ بنَ سعيدٍ انّ أُسَى الفَتَى   فيها رَواء الُحرِّ يوم ظَمَائِه
٢ أنتَ الذى لا تُعذَل الدُّنيا إذا   ما النَّائبات صَفَحْنَ عَن حَوْبائه
٣ لو كانَ يَغنَى حازِمٌ عن وَاعِظٍ   كنتَ الغَنِيَّ بحزمِهِ وذكائه
٤ ليس الفتَى مَنْ لم يُعَرِّ مدامعاً   من مائها والوجْدُ بعدُ بمائه
٥ فاذا رأيتَ أَسَى امرئٍ أوصَبرَه   يوماً فقد عايَنْتَ صُورةَ رائِه

---

(١) الأُسَى ، بضم ففتح : جمع أسوة ، بالكسر والضم ، وهى ما يأتسى به الحزين ويتعزّى . والرَّواء ، بالفتح : الماء المرْوِى . والحرّ ، بالضم : الكريم ، وهو خلاف العبد . والظَّمَاء ، بالفتح : الظمأ ، ومثله الخطأ والخطاء . يقول : إن التعزّى يذهب حَرَّ الحزْن ويدفعه .

(٢) تعذل : تلام . الحوباء ، بالفتح : النفس . أى إذا أبعدت الدنيا نوائبها عنه فليس هنالك ما تستحق الدنيا أن تلام عليه . وإنما تلام الدنيا إذا أصابته بمكروه ، أو توجهت إليه بنائبة .

(٣) يَغنَى عنه : يستغنى . يقول : إن الحازم لا يستغنى عن واعظ يعظه ويذكّره . ولو كان حازم يستغنى عن الواعظ ، لكنتَ أول غنىّ يغنيه حزمُه وذكاؤه عنه .

(٤) الوجد : الحزن . بمائه : أى فى شدته وقوته . يعرّى المدامع : يجعلها عارية ، أى جافّة من الدموع . أى أنّ الفتى من يصبر ويتغلّب على دموعه ، ولا سيَّما فى أوّل الصدمة ، وعنفوان الكارثة .

(٥) الأسى : الحزن . رائه : رأيه . وهو من الألفاظ المقلوبة . وقد كثر القلب فى هذه المادّة . ولم تذكر المعاجم الراء بمعنى الرأى ، وذكرت « الراءة » مصدرا بمعنى الرؤية . أى بالصبر والجزع يتبيَّن عقل المرء .

٦ إنّى أرَى تِربَ المروءةِ باكياً فأكادُ أبكى مُعْظِماً لبكائِه
٧ حَقٌّ على أهْلِ التيقّظ والحِجَا لا يقطَعُون الأمْرَ دونَ قضائِهِ
٨ ألا يُعزَّى جازعٌ بحَمِيمه حتّى يعــزَّى أوّلا بعزائِه

(٦) التِّرب ، بالكسر : من ولد معك ، وهى هنا بمعنى صاحب المروءة . وأعظم الشيء : عدَّه عظيما جللا .

(٧) التيقّظ : التنبّه . والحجا ، بالكسر : العقل والفطنة . لا يقطعون الأمر : لا يبرمونه ويمضونه . قضائه : حكمه . رسم دستوراً لأهل الحجا ، لا يجمل بهم أن يبرموا أمراً قبل الرجوع إليه ، وهو ما سيذكره فى البيت الآتى .

(٨) الحميم : الصديق القريب . أى أن التعزية بفقد العزاء — وهو الصبر — مقدمة على التعزية بفقد الحميم . ففقد الصبر أكبر كارثة يجدر أن يعزّى بها الإنسان ، وفقد الحميم أهون شأناً منها، وأيسر خطباً . أى أن فقد العزاء هو الكارثة الكبرى ، التى تستحق التعزية .

باب الهجـــاء

١

قال يعرِّض ببعض بنى حُمَيد ، ولم يصرح بهجائه ؛ لمدحه لهم ، ولأنه طائى * :

١ إذا جارَيتَ فى خُلُق دَنيًّا   فأنتَ ومَنْ تُجَارِيه سَواء

٢ رأيتُ الحرَّ يجتنبُ المخازِى   ويَحميه عن الغَدْرِ الوَفاء

(*) هم بنو حميد بن عبد الحميد الطوسى ، ممدوح أبى العتاهية وعلى بن جبلة . وفيه قال على بن جبلة (١) :

لولا حميد لم يكن   حسب يعدّ ولا نسب
يا واحد العرب الذى   عزّت بعزّتهِ العرب

وقال (٢) :

بحميد — وأين مثلُ حُميدٍ —   فخرت طيِّئٌ على الأحياء

ومن أبنائه أصرم بن حميد . وفيه قال أبو تمام (٣) :

بنى حميد الله فضلكم   أبقى لكم أصرما فأسعدكم

ومحمد بن حميد الذى رثاه بمرثيته السائرة :

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدَح الأمرُ   فليس لعَينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذرُ

(١) الدنىّ : الدنىء الخسيس .

(٢) المخازى : جمع مَخْزَاة ، وهى ما يستحيا منه . يحميه : يمنعه .

---

(١) الاغانى (١٨ : ١٠٥)
(٢) الاغانى (١٨ : ١١٠)
(٣) الديوان ٣٠٩

٣ وما مِنْ شِدَّةٍ إلا سَيأتى ... لها مِنْ بَعْدِ شِدّتها رَخاء
٤ لقد جرَّبتُ هذا الدّهرَ حتّى ... أفادَتْنى التّجاربُ والعَناء
٥ إذا ما رأسُ أهلِ البيت وَلّى ... بَدَا لهمُ من الناس الجفَاء
٦ يَعيش المرء، ما استحيا، بخيرٍ ... ويبقَى العُود ما بَقِيَ اللِّحاء
٧ فلا والله ما فى العَيْش خيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذَهبَ الحياء
٨ إذا لم تَخْشَ عاقبةَ الليالى ... ولم تستحيِ فاصنَعْ ما تشاء
٩ لئيمُ الفِعْل من قَومٍ كِرامٍ ... له مِن بَينهمْ أبداً عُواء

(٣) الرخاء، بالفتح: سعة العيش واليُسْر.

(٤) العَناء: التعب والنصَب.

(٦) أى مَن لزم الحياء عاش بخير؛ فإنه يمنع صاحبه عن مزَلّات كثيرة، كما أنّ لِحَاء الغصنِ يحفظه من العطب والتلَف، فإنْ قشَرَه عابثٌ ذوَى الغصنُ وعَطِب.

(٨) عاقبة الليالى: أى عواقب أحداثها ونوائبها:

واللّيالِى مِنَ الزّمانِ حَبَالَى ... مُثْقَلاتٌ يلِدْنَ كلَّ عجيبه

فاصنع ما تشاء: أمر معناه الخبر، أى من لم يستح صنع ما يشاء؛ لفقده الوازعَ والكافّ. أو معناه التهديد، كقوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ ﴾. وببيت أبى تمام هذا، استشهد صاحب اللسان فى تفسير الحديث: «إذا لم تستحيِ فاصنع ماشئت[1]».

(٩) هذا البيت ساقط من طبعة محيي الدين الخياط.

(١) اللسان ١٠ : ٨١

٢

قال يهجو عتبة بن أبي عاصم * :

١ أ عُتَيْبُ يا ابنَ الفَسْلةِ اللخْناءِ ... أ أمِنْتَ من بَذَخي ومن غُلَوائي

٢ فبحرمة الغُرمُول في امتك ، إنّه ... قَسَمٌ له حَقٌّ على البُغّاءِ

٣ دَعواكَ في كلب أعمُّ فضيحةً ... وأخسُّ أم دَعْواك في الشُّعراءِ ؟

٤ عجباً لصيّاد الهجاء بعِرْضه ... وحِرُ أمِّه أبداً على الأَعراءِ

٥ ما شعره كفئاً لشِعرىَ فليمُتْ ... غيظاً ، ولا الحلقُ من أكفائي

(*) هو عتبة بن أبي عاصم الحمصي الأعور . هجا بني عبد الكريم الطائي من أهل الشّام . فعارضه أبو تمّام الطائي ، وهجاه ومدحهم(١) .

(١) البَذَخ ، بالتحريك : الكبر والتعالي . والغُلَوَاء : الغلوّ .

(٢) البُغّاء : جمع باغٍ ، وهو العاهر . أو البَغّاء ، بالفتح : الكثير البِغَاء .

(٣) كلب ، هي القبيلة . ينفيه أبو تمام عن قبيلة كلب ، وعن أن يكون في زمرة الشعراء . و « أخسّ » بالسين في النسخ . وأراها : « أخص » بالصاد .

(٤) الأعْراء : جمع عراء ، بالفتح والمد ، وهو الفضاء لا يُسْتَتَرُ فيه بشيء . والأبيات من ١ — ٤ ساقطة من طبعة محيي الدين الخياط ، وكذلك البيتان ٩ ، ١٠

(٥) الأكفاء : النظراء ، الواحد كفء . وفي طبعة الوهبية : « ما شعرهُ كُفُوا » وهما لغتان . ولا الحلق : أي هو حلقٌ . والحلق ، بالتحريك : المأبون .

---

(١) معجم المرزباني ٢٦٥

٦ أنَّى يفوتُ مَخَالِبِي فى بلدة ... أرضى بها مَبسوطةٌ وسَمَائى
٧ وكُهول كَهْلان وَحيًّا حِمْيَرٍ ... كالسَّيْل قُدَّامِي معًا ووَرائى
٨ فأُولاكَ أعمامى الذين تعَمَّمُوا ... بالمكْرُمات وهــــذه آبائى
٩ إن كنت قد صارتْ قرونك غَيضَة ... فأنا أُحرِّقُها بنارِ هجائى
١٠ أتَصولُ باستك ثم تأمُل دولةً ... أو ترتجى نَصْراً على الأعداء
١١ آتيكَ فى ملأٍ هُم مَلأُ الملاَ ... وتجىء بالصِّبيان والغَوغاء

---

(٦) يقول : لا يستطيع أن يفلت من هجائى ومن سطوتى ، وأنا فى بلد اعتزّ بأرضه وسمائه .

(٧) كهلان : أخو حمير ، وهو كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . كالسيل : فى تدفقهم وكثرة عددهم .

(٨) أولاك : أى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . تعمم : لبس العمامة كاعتمّ . تعمموا بالمكرمات : كانت شعاراً لهم . هذه : أى كهلان ؛ فإن أبا تمام طائى . وطيئ من كهلان ، وهم طيئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن (كهلان) بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان أجدر بأبى تمام أن يقول : « فأولاك آبائى وهذه أعمامى » ولكن ضرورة الصناعة فى « تعمموا » وضرورة القافية الهمزية ألجأته إلى هذا .

(١١) الملأ : الأشراف والعِلْية ، والجماعة . أى أن قومى أشرافُ الأشرافِ . والغوغاء : شيء يشبه البعوض ولا يعضّ لضعفه ؛ وبه سمى الغوغاء من الناس ، وهم رعاعهم .

٣

وقال يهجوه أيضاً :

١ نُبِّئتُ عُتبةَ شاعِرَ الغَوغاءِ قَدْ ضَجَّ من عَوْدِى ومن إبدائى

٢ لمَّا غضبتُ على القريضِ هجوتُهُ وجعلتُ حُلَّتَهُ هِجاء هجائى

٣ ما كان جهلُك تاركاً لك غَيَّهُ حتّى تَكونَ دَجاجَةَ الرَّفَّاء

---

(١) الغوغاء ، فسرت فى البيت قبله . ضَجّ : جزع وفزع ، أو صلح مستغيثاً . والعود والإبداء ، عنى به تكرار هجائه له

(٢) القريض : الشعر . والقرض : قول الشعر . هجوتُه : أى هجوت عتبة . يقول : إننى لم ألجأ إلى هجائه إلاَّ بعْد أن غضبت على الشعر وامتهنته ؛ فإنه لا يعرض شعره لهجو مثل عتبة إلا رجلٌ قد غضب على شعره وأهانه . وجعلت حُلَّته : أى كسوت عتبة شرفاً عالياً بأن يقرأ هجائى و يرو يه ! وفى نسخة الوهبية : « وجعلت خلعته » والخلعة ، بالكسر : ما يخلع على الإنسان من ثوب ونحوه . هجاء ، الأولى ، بمعنى القراءة والرواية . قال أبو زيد لرجل من بنى قيس : أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال والله ما أهجُو منه حرفاً ! يريد ما أقرأ منه حرفاً[١] . وفى اللسان : « ورويت قصيدة فما أهجو اليومَ منها بيتين . أى ما أروى[٢] » .

(٣) غيّه : أى الضلال الناشئ عنه . حتَّى تكون : حتَّى تصير . والدَّجاجة هنا ، كُبَّة الغَزْل . و ينشدون فى الأحاجى قول أبى المقدام الخزاعى[٣] :

وعجوزاً رأيتُ باعت دَجاجاً لم يُفرِّخْنَ ، قد رأيتُ عُضالا
ثم عادَ الدَّجاجُ من عجَبِ الدهـــرِ فراريجَ صِبْيةً أبذالا

---

(١) اللسان (٢٠ : ٢٢٨ س ١٥ ، ١٦) . (٢) اللسان (٢٠ : ٢٢٨ س ١٦ ، ١٧) .
(٣) اللسان (٣ : ٨٩) .

٤ حِلمى على الحُلَماءِ غيرُ مكدَّرٍ والحتفُ فى سَفهى على السفهاء
٥ أضعِفْ بمن أمْسَى وأصبحَ أمرُه تبعاً لأمْرِ الدودة الشَّعراء
٦ يا ربِّ سَلِّمْ ، إنَّها لمصيبة نزلت ولا سِيما على الشُّعراء
٧ ما الشَّمسُ أعجب، حين تطلعُ للوَرَى غَرِبيَّةً ، مِنْ شاعـــرٍ بَغّاء
٨ إن كنتَ لستَ بمُنْتَهٍ عن بذْلها فأنا أحقُّ بِها من الغُرَباء

الدَّجاج هنا : كُبَبُ الغزل . والفراريج : جمع فرّوج للدُّرَّاعة والقَباء . والأبذال : التى تُبتَذَلُ فى اللباس .

والرَّفَّاء : مَنْ يرفو الثياب : أى يصلحها . ودجاجة الرَّفاء ، مثلٌ فى الهوان والخسَّة . يقول : لست تقلع عَن غيِّك حتى تصير إلى مثل هذا الحال من الهُون والقلة .

(٤) الحلم ، بالكسر : الأناة والعقل ، ويقابله السفه . والحلماء : العقلاء . وفى طبعة الوهبية « عن الحلماء » . والحتف : الهلاك . يقول : هو واسع الحلم على العقلاء ، شديد السَّطوة على السُّفَهاء .

(٥) أضعف به : أى ما أشد ضعف حاله . الدُّودة الشعراء : الخبيثة ، من قولهم داهية شَعْراء ، يذهبون إلى خُبثها[1] وقد كَنَى عن أُبْنَته .

(٦) لاسيما ، بتخفيف الياء ، لغة فى « لا سيَّما » . وجاء منه قول القائل[2] :

فِهْ بالعُقود وبالأيمان « لاسِيَمَا » عقدٌ وَفاءٌ به من أعظم القُرَب

(٧) بغّاء : كثير البِغاء ، بالكسر ، وهو العَهْر والفجور . ومثله الزَّنّاء للكثير الزِّنَى . أى ليست الشمس حينما تطلع من المغرب ، بأعجب من أن يكونَ شاعرٌ عاهراً .

(٨) بذْلها ، يكنى عن عِرضه . من الغرباء : أى لأنه شاعر مثله .

---

(١) اللسان (٦ : ٧٩ س ٢١) (٢) مغنى اللبيب (رسم سى)

٤

وقال يهجو عبدون الكاتب* :

١ قل لعبدونَ أينَ ذاكَ الحياءُ ... إنّ داءَ البِغاءِ داءٌ عَياءُ

٢ طالمَا كنتَ قبلُ عِندى مَنيعاً ... ومَصُونًا كما يُصانُ الرِّداءُ

(*) هو أحد كتاب الديوان . وفى الأصل : « عبد الله » وهو تحريف يشهد لتصحيحه الشعر . وجاء فى الديوان ٤٩٦ أبيات أخرى لأبى تمام فى هجائه :

إن « عبدونَ » أرضُه ممطورهْ ... فهى طوع نباتها وضروره

سهل الأمر إذ توعد بالشعر ... فجاءت سهولة ووُعوره

لا تقاتل كتائبَ الشعراء السُّود جهلا ... فإنها منصوره

ليس يغنى شيئاً ولو كنت قارون الغنىّ ... واشتريتَ درب النّوره

وأما عبد الله الكاتب فلأبى تمام فيه أيضاً أهاجٍ أخرى يقول فى إحداها :

أعبدَ الله دَعْ لَوًّا وليتا ... فقد أصبحت يا مسكينُ ميتا

وفى أخرى :

أُنبئت عبدَ اللهِ أصبح يُغْولُ ... إنّ الزّمانَ بأهله متنقّلُ

(١) البغاء ، بالكسر : العَهْر والفجور . والداء العياء . بالفتح : الذى لا دواء له ، يُعيِي نُطُس الأطبّاء .

(٢) «عندى» لعله إشارة إلى أن ذلك الكاتب كان فى أول أمره من غلمان أبى تمام . ففى الديوان ص ٥٠٨ أبيات لأبى تمام فى هجاء غلامه « عبدون » ، أوّلها :

نأت به الدّارُ عن أقاربه ... فألْقِيَ الحبلُ فوقَ غاربِه

٣ ثُمَّ كَشْخَنْتَنِي على غيرِ جُرْمٍ   فأنا والمُبَارَكِيُّ سَــواءُ
٤ قال لى الناصحونَ وهو مقالٌ:   ذَمُّ مَنْ كانَ خَامِلاً إطراءُ
٥ صدقوا. فى الهجاء رِفعةُ أقوا   مٍ طَغَامٍ. وليس عندى هجاءُ

(٣) «كشْخَنْتَنى». كشّخه وكشْخَنَه: قال له يا كَشْخان! والكشخان بالفتح و يكسر: الديّوث. يريد: جعلتنى لك كالكشخان. وفى نسخة: «كشحتنى» وهو تصحيف. والكشخان فارسى معرب، وهو فى الفارسية: «كَشيخان». وهو القواد، أو من يتغاضى عن عرضه[١]. والجرم، بالضم: الذنب. والمباركىّ، هو مِقران المباركى، منسُوب إلى المبارك، بفتح الراء، وهى قرية بين واسط وفم الصلح من العراق. وفيه يقول أبو تمـام[٢]:

أما والذى غشّى المبارَكَ خزيةً   يغَـنِّى على الأيّام ركبٌ بها رَكْبا
لقد ظلّ مقرانٌ يحك بِعِرضه   قوافىَ شـعرٍ لو تدبَّرَها جَرْبَى

و يقــول[٣]:

لا سُـقيت أطلالُك الدائرة   ولا انقضت عثرتُك العاثِره

وقد أصاب أبو تمام فى هذا البيت عصفورين بحجر واحد؛ إذ أمكنه أن يعرِّض أيضاً بالمباركى، و يأنف من أن يقرنَ به.

(٤) وهو مقالٌ: أى مقال بالغٌ فى الجودة والصحّة. الإطراء: حُسن الثنـاء. أى أن ذمّ الخامل تنويهٌ به ورفعٌ لشأنه، وأولى به أن يظلّ فى خموله وسقوطه.

(٥) الطغام، كسحاب: أوغادُ النَّاسِ ورُذالهُم.

(١) معجم استينجاس ١٠٣٥   (٢) ديوانه ٤٨٧
(٣) ديوانه ٤٩٧

باب الغـــزل

١

قال يتغزّل فى محمد* :

(*) لعل من أبرز ظواهر هذا الباب فى شعر أبى تمام ، أن معظمه إنّما هو فى غزل المذكّر . وقد فشا هذا الضرب من الأدب فى شعر أبى تمام ومعاصريه . ولا تكاد تجد فى شعر الجاهلية والإسلام هذا اللون المستحدث ، الذى ساقه إلى العرب خلطتهم بالفرس وغيرهم، من الأمم التى كانت تنحو هذا النحو فى أدبها . وأول من أشاع هذا الغزل أبو نواس وأستاذه والبة ، وأقرانهم ، ممن كانوا يمثّلون الحياة الماجنة فى بغداد والعراق ، حيث نفَقت أسواق الرقيق والغلمان .

ومما يروى عن أبى تمام(١) أنه كان يعشق غلاماً خزرياً كان للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاماً كان لأبى تمّام رومِيًّا . فرآه أبو تمام يوماً يعبث بغلامه فقال : والله لئن أعنقت إلى الروم لنركضَنّ إلى الخزَر . فقال ابن وهب : لو شئتَ لحكّمتَنا واحتكمتَ. فقال له أبو تمام : أنا أشبّهك بداود وأشبّهُنى بخَصمه(٢) .

أبا على لصَرْف الدّهرِ والغِـيَرِ ... وللحوادث والأيام والعِـــبَرِ
أذكرتَنى أمْرَ داودٍ ، وكنت فتًى ... مُصَرَّفَ القلبِ فى الأهواء والذّكَر
أعندكَ الشّمسُ لم يَحْظَ المغيبُ بها ... وأنت مضطربُ الأحشاء بالقَمَر
إنْ أنتَ لم تترك السّيرَ الحثيثَ إلى ... جآذر الرُّوم أعنَقْنا إلى الخـزَرِ

هذا . وقد ظفر محمّد ، هذا الغلام ، من أبى تمام بمقطّعاتٍ ، منها التى أوّلها :

(١) أخبار أبى تمام للصولى ١٩٤

(٢) إشارة إلى ما ورد فى سورة صٓ من قوله تعالى : « وهل أتاكَ نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب . إذ دخلوا على داود » .

١ نفسى فِداء مُحمَّدٍ ووَقاؤُهُ وكذبتُ ، ما فى العالَمِين فداؤُهُ

٢ أزعمتَ أنَّ الظبيَ يحكى طرفَه والقَدَّ غُصنٌ جالَ فيه ماؤه

٣ لا تقرُ أسماء الملاحة والحِجَا فيمَنْ سواهُ ؛ فإنّها أسماؤه

يا سميَّ النبى حين يُسمَّى والذى خُصّ بالجمال وعُمَّا

والتى مَفْتَحها :

فديتُ محمداً من كل سَوٍّ يُحاذَرُ فى رَواحٍ أو غدوٍّ

(١) الوقاء ، بالكسر والفتح ، والوقاية ، بالكسر والفتح أيضاً : كلّ ما وقيتَ به شيئاً .
كذبتُ : أى كذبتُ فى قولى ، فلست أصلحُ فداء له . وهذا ما يسمِّيه البديعِيُّون رجوعًا .
وهو أنْ يعود الشاعر على كلامه السابق بالنقض ، كقول زهير :

قف بالديار التى لم يعفُها القدم بَلَى ، وغيَّرَها الأرواح والدِّيَمُ

وقوله :

أليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتُها إليك ، وكلاّ . ليس منك قليلُ

وما ، هنا ، نافية . أى ليس فى الخلْق ما هو فداء له .

(٢) يحكى : يشبه . طرفه : عينه . أى أن عين الظبى تشبه عين محبوبه .
والقدّ : القامة . جال : جرى . والماء هنا الحُسْن . أى حسن محبوبه . وضمير فيه
عائد إلى « غصن » . أى : أزعمت أنّ القُدودَ الحِسانَ أغصانٌ جال فيها حُسنُه .
لم يكتف أبو تمام بالتشبيه المقلوب ، وهو غايةٌ ، فاستنكره بأن قال : « أزعمت » .

(٣) الحجا ، بالكسر : العقل والفطنة . لا تقرُ : لا تتتبَّع . قرا الشىء يقروه :
تتبّعه . أى لا تجهد نفسك فى تتبع نعوت الملاحة والفطنة فيمن سواه ؛ فإنها جعلت وقفاً
عليه . وهذهِ رواية الأغانى[1] : وفى الأصل : « لا تغنى » وهو تحريف .

---

(١) الأغانى (٢١ : ٣٦) .

٤ عَرِىَ المحِبُّ من الضَّنَى، فقميصُه طولُ التأوُّهِ والسَّقامُ رِدَاؤُه

٥ لو قيل سَلْ تُعطَ المنى أوْ لو درى مولاهُ فى الَخلوات كيف بكاؤُه

٦ أحبابُه ما يفعلُون بقلبه ما ليس يَفعلُه به أعداؤُه

٧ مطرٌ من العَبَرات خَدَّى أرضه حَتَّى الصَّباحِ ومُقْلتاه سماؤُه

---

(٤) الضنى : المرض المخامر ، كلما ظنَّ أنه برئ نُكِس . والسَّقام ، بالفتح : المرض . أى أنّ الضَّنَى أعرَى المحبَّ من ثيابه ، وأبدله بها ثياباً أُخَرَ من التأوُّه والسَّقام .

(٥) تمنّى أن يقال له سَلْ ما تحب فإنك تعطاه ، وتمنّى كذلك أن لو عرف محبوبُه كيف بكاؤه فى خلواته ، إذ ينفرد بنفسه ويخلو للشُّجون . مولاه : أى سيِّده ومالكه . وفى الأصل : « أن لو درى » .

(٦) أى لا يفعل أحبابه بقلبه ، ما ليس يفعله به أعداؤه ؛ فإن الحبَّ يضنى قلبه ويُصليه بحرّه ولهيبه ، فكأن أحبابه يقتدون بأعدائه ، ولا يفعلون إلا مِثْلَ ما يفعلون .

(٧) العبرات : الدموع . خدَّد السيل الأرض : شقّقها . وهى هنا « خدَّى » فتحتمل أن تكون اليـاء مقلوبة عن الدّال ، وهو كثير مسموع فى كلامهم ، إذ يبدلون أحَد حرفى المضاعف مما فوق الثلاثىّ ياء ، كالتقصّى والتقضِّى والتظنّى ، وأصلها التقصص والتقضّض والتظنّن[1] . وتحتمل أن تكون محرفة عن « خدّد » ؛ فإن المعاجم لم تذكر « خدَّى » فى معنى « خدّد » . والمقلة : شحمة العين . أى مقلتا المحب تذرفانِ الدمع ، فكأنّهما سحابٌ يرسل الماء .

---

(١) انظر شرح الرضى للشافية (٣ : ٢١٠ — ٢١١) وسيبويه (٢ : ٤٠١) .

٢

ومن قوله :

١ أزَعَمْتَ أن الظَّبيَ يَحكِى طَرْفَهُ ··· والغصنَ حِينَ يَجُولُ فيه ماؤُه
٢ اسكُتْ فأين ضياؤُه وبهاؤُه ··· وذكاؤُه ووَفاؤُه وحَيــاؤُه

٣

ويقول فى الغزل أيضاً :

١ سَقَى اللهُ مَنْ أهْوَى، على بُعْدِ نائهِ ··· وإعراضِـه عَنِّى وطولِ جَفائهِ
٢ أَبَى اللهُ إلّا أنْ كلِفتُ بحُبِّـهِ ··· فأصبحتُ فيــه راضيا بقضائهِ
٣ وأفرَدْتُ عينى بالدُّموع فأصبَحتْ ··· وقد غَصَّ فيها كلُّ جَفْنٍ بمائهِ

٢

(١) سبق مثل هذا البيت فى المقطَّعة الأولى . أى وأن الغصن يحكيه حين يجول فيه ماؤه .

٣

(١) سقاه اللهُ : أى سقاه الله الغيث . وهو دعاء من أثر البـداوة الأولى ، والمراد الرعاية والحفظ . والناء : البُعْد ، أى على شدة بعده . والناء مصدر لناءَ الشيء : بعُد . مقلوبان من نأى نأياً ، ومثله راءه بمعنى رآه ، وراؤه بمعنى رأيه[1] . وإن لم تنص المعاجم على الناء والراء بمعنى النأى والرأى . والجفاء : القطيعة ، نقيض الوصل .

(٢) كلفت به : أولعت . وضع الماضى موضع المضارع ، أى إلا أن أكْلَف بحبّه .

(٣) أفردتها : جعلتها منفردة ، لا تبكى عينٌ غيرُها . غصّ ، من قولهم : غصَّ

---

(١) انظر ص ٥٥ س ١٨ — ١٩

٤ فإن مُتُّ من وَجْدٍ به وصَبابةٍ فكمْ مِنْ مُحِبٍّ ماتَ قبلى بدائهِ

المكان بأهله : ضاق ، والمنزل غاصٌّ بالقوم : أى ممتلئ بهم . ومنه غصِصْتَ بالطعام تَغَصّ فأنت غاصٌّ بالطعام وغَصّان . وليست من الغُصّة ، وهى الشَّرَق باللقمة والماء . ففى الفعل تورية . والجفن : غطاء العين . والماء : الدمع .

(٤) الداء : المرض . مات بدائه ، أى وهو مريض ، أو بسبب دائه . والسببية أوفق لقوله قبلُ : « من وجد » أى بسببه . ويجوز فى ميم « مت » الضم والكسر ، وبهما قرئ فى كتاب الله : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فى سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ . وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ ﴾(١) و : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾(٢) وذلك لأن مضارعه يموت ويَمَات ويَميت ، فالضم للأول والكسر للآخَرَين . وقد قرأ حفص بالضم فى الموضعين الأولين ، وبالكسر فى الثالث . وحفص راويةُ عاصم . وقرئ أيضاً : « متّ » و « متُّ » و « متنا » بكسر الميم وضمها فى سائر المواضع التى وردت فيها من الكتاب ، فالكسر قراءة نافع وحفص وحمزة والكسائى ، والضمّ قراءة الباقين(٣) .

---

(١) سورة آل عمران ١٥٧ — ١٥٨ فى قراءة حفص .

(٢) سورة المؤمنون ٣٥ فى قراءة حفص .

(٣) انظر شرح ابن القاصح للشاطبية ، وغيث النفع للصفاقسى .

باب الأوصاف

قال يصف الأمطار* :

١ ألا تُرى ما أصْدَقَ الأنواء　　قد أفنَت الجحْرَةَ واللَّأْوَاء

(*) لأبى تمام وَلُوعٌ بوصف المطر ، فى باب الوصف من ديوانه مقطّعات كثيرة ، تتناول هذا الغرض ، منها التى مطلعها :

لم أرَ غَـيْرَ جَمَّـةِ الدُّءوب　　تُواصِلُ التَّهجـيرَ بالتأوِيب

و : الروضِ مِنْ بين مغبوق ومُصْطَبِح　　من ريقِ مكتفلاتٍ بالثَّرى دُلُحِ

و : حَمادِ مِن نوء له حَمادِ　　فى ناحرات الشَّهر لا الدَّآدِى

و : يا سهم للبَرْقِ الذى استطارا　　باتَ على رغم الدُّجى نهارا

و : سارِيةٌ لم تكتحِلْ بغمض　　كدْراء ذاتُ هَطَلانٍ مَحْضِ

(١) ما أصدق الأنواء : ما أقواها وأتمّها ، قال الخليل : الصَّدق — بفتح الصاد — الكامل من كلّ شىء . والأنواء : سبق تفسيرها فى ص ١٣ . والجَحْرة ، بالفتح وتقديم الجيم على الحاء : السنة الشديدة المجدبة القليلة المطر ؛ لأنها تجْحر الناسَ فى البيوت قال زهير :

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفتْ　　ونال كرامَ المال فى الجَحْرة الأكلُ

وفى نسخ الديوان : « الحجرة » بتقديم الحاء ، وهو تصحيف صوابه ما أثبت . واللأواء : الشدة وضيق المعيشة . وفى الحديث : « مَن كان له ثلاث بنات فصبرَ على لأوائهن كنّ له حجاباً من النار » .

٢ فلو عصَرتَ الصَّخْرَ صارَ ماء مِنْ لَيلةٍ بِتْنَابها لَيــــــلاء

٣ إنْ هى عادَتْ ليـلةً عِدَاء أصبحتِ الأرضُ إذنْ سَماء

يقول أبو تمام : إنّ هذه الأنواء قد أبعدت المحل والشدّة ، وأتت بالخِصب والخير .

(٢) فى البيت مبالغة ظاهرة . والليلة الليلاء : الطويلة الشديدة الصعبة . أى أن هذه الليلة الشديدة بمطرها وسيلها ، قد أثّرت فى الصخر ، حتى لو حاولتَ عصرَه لتبجّس منه الماء .

(٣) هى : أى الأنواء . عادت من العَود ، وهو انتياب الشيء كالاعتياد . ليلةً : ظرف . والعداء ، بالكسر والهمز : جمع عُدوة ، بالضم ، وهى جانب الوادى وحافَتُه . وفيه تورية ؛ فإن ظاهر اللفظ يوهم أنّه عاداه يعاديه عِداء . أى لو انتابت هذه الأنواء عُدُواتِ الأنهار ، فى ليلةٍ من الليالى ، لحوّلت أرضها إلى سماء من كثرة مائها .

باب المعاتبات

قال يعاتب على بن الجهم، ويطلب إليه استنجاز وعْدٍ من عثمانَ بن إدريس بن بدر (*):

١ بأىِّ نُجومِ وجْهِك يُستضاء ... أبا حَسَنٍ وشِيمتُك الإباء

٢ أتترُكُ حاجتى غَرَضَ التَّوانِى ... وأنت الدَّلْوُ فيها والرِّشاء

٣ تألَّفْ آلَ إدريسَ بنِ بدرٍ ... فتسْبيبُ العَطاءِ هو العطاء

(*) هو على بن بدر بن الجهم بن مسعود، شاعر فصيح مطبوع، خُصَّ بالمتوكّل حتَّى صار من جلسائه، ثم أبغضه؛ لأنّه كان كثير السِّعاية إليه بندمائه، فنفاه بعد أن حبسه مدّةً. وكان ينحو نحو ابنِ أبى حفصة فى هجاء آل أبى طالب وذمهم، والإغراء بهم، وهجاء الشيعة[1]. وكانت بينه وبين أبى تمام مودة أكيدة. وتوفى سنة ٢٤٩[2]

وعثمان بن إدريس بن بدر السامِىّ — نسبة إلى سامة بن لؤى — يبدو أنّه ابن عم على بن الجهم السامى، وقد هجا أبو تمام عثمان هذا بقوله، مستطرداً فى نعت فرس[3]:

أيقنت — إذ لم تَتَثَبَّتْ — أن حافره ... من صَخْر تدمُرَ أو من وجه عُثمان

(١) الإباء: أن يأبى الرجل الدنيَّة.

(٢) غرَضَ التوانى: أى هدفاً للبطء والفتور. الرِّشاء، بالكسر والمد: حبل الدلو. أى وأنت العُدّة لهذه الحاجة.

(٣) تألفْ: قاربْ واستَمِلْ. أراد: الدَّالُّ على الخير كفاعله.

(١) الأغانى (٩ : ١٠٠) (٢) ابن خلكان (١ : ٣٥٠)

(٣) الصولى ٦٩ والديوان ٢٠١ وهبة. وليس فى نسخه محي الدين التى نشيرداثماً إلى صفحاتها؛ فانه أسقط كثيراً من باب الهجاء.

٤ وخذهم بالرُّقَى إن المَهارَى يُهيِّجُها على السَّيرِ الحُداء

٥ فإمّا جازَ منِّى الشعرُ فيهم وإما جازَ منك الكيمياء

٦ فقل للمرء عُثمانٍ مقالًا يَضيقُ بلفظِهِ البَلَدُ الفضاء

٧ ألم يَهزُزْك قولُ فتًى يُصلِّى ، لما يُثنِى عَلَيكَ به ، الثَّناء

(٤) الرقى ، بضم ففتح : جمع رقية بالضم ، وهى العوذة التى يُرقى بها صاحب الآفة ونحوها . أراد تلطّف إليهم كما يتلطّف الرّاقى . والمهارى جمع مَهرية ، وهى الناقة المنسوبة إلى مَهرة بن حَيْدان ، أبى قبيلة . يهيّجها : ينشّطها . والحداء ، بالضم : سوق الإبل والغناء لها .

(٥) جاز : سلك ونفذ ، أى أحدث أثره المراد . والكيمياء[1] : اسم صنعة تتناول تركيب الموادّ ومزجها أو فصلها على طريقة علمية . وعبر بها هنا عن المهارة فى التلطف .

(٦) المرء : الرجل ، أراد الرجل الكامل . الفضاء : الواسع .

(٧) يصلّى : يثنى . وفى قول الله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ . فمعنى الصلواتِ ههنا الثّناء عليهم . وجاء مثله فى قول أبى تمام يصف وَشْياً :

لا يتخطّاه الطرفُ من أحدٍ يصف إلا صَلّى على صَنَعِه[2]

والمعنى : ألم يهززك قول فتى يثنى الثناء، لِمَا يثْنِى عليك به . وضمير « يثْنى » للفتى . ولأبى تمام وَلوع بمثل هذا التعبير[3] . أو يصلِّى ، من المصلِّى ، وهو الذى يتلو السابق فى الحَلْبة أى ثنائى عليك أرفعُ ثناء ، وكلُّ ثناء غيره فهو تالٍ له .

(١) انظر تفصيل القول فيها فى كشف الظنون (٢ : ٣٤١ — ٣٤٦) .

(٢) ديوان أبى تمام ١٩٧ . والصنع : الصانع الحاذق

(٣) البيت ١٩ ص ٣٦

٨ فتفعَلَ ما يشاءُ المجدُ فيه فإنَّ المجْـدَ يُفعَلُ ما يشاءُ
٩ وأنت المـرءُ تألفُه المَعَالى ويحكمُ فى مواهبـه الرَّجاءُ
١٠ وإنّكَ لا تُسرُّ بيومِ حَمدٍ تُسرُّ به ومالكَ لا يُسـاءُ
١١ فإنّ المدْحَ فى الأقوامِ ما لم يُشَيَّع بالجـزَاء هو الهِجاءُ

---

(٨) أى فتفعل لذلك الفتى ما يشاء المجد فيه ، أى ما يقتضيه ؛ لأن الكرام يفعلون ما يشاء المجد ، فإرادته حكمٌ ، لا يتخلّف كريمٌ عنها .

(٩) المواهب : جمع مَوهبة ، بكسر الهاء ، وهى العطيّة وما يوهب . الرجاء : أى رجاء الطُّلّاب وأملهم .

(١٠) لا يساء : أى لا يفعل به السوء . وساء المالَ : أنفقه ومنحه الغير ، وأصل سوء المال فى الإبل ؛ إذ كانوا يذبحونها أو ينحرون فصلانها للضيوف ، فيسوءها ذلك ويسوء أمّاتها . وفى مِثْل ذلك يقول الحماسىّ[٥] :

ترَكت ضأنى تودُّ الذِّئبَ راعيَها وأنّها لا ترَانى آخِرَ الأبدِ
الذِّئب يطرقها فى الدَّهرِ واحدةً وَكُلَّ يوم ترانى مُدْيةٌ بيدى

يقول : إن السُّرورَ الحقيقيَّ بالحمد ، هو فى اليوم الذى يُساءُ فيه المالُ ، فأما السرور بالحمد فى يوم لا يساءُ فيه المالُ فليس بشيء ، وهو سرورٌ باطل .

(١١) يشيَّع ، من التشييع ، وهو الإتْباع . يقول : إذا لم يجازِ الممدوحُ المادحَ بجزاء مدحه ، كان ذلك هجاءً له ؛ إذ أنّ المدحَ إنّما يصلُح إذا صادفَ مَوقِعَه . ووضْع الشّيء فى غير موضعه قَلبٌ له يستحثّ بذلك عثمانَ على إثابته .

---

(١) اللسان (١٩ : ١٩٩)
(٢) الحماسة (٢ : ٢٥٧)

الفهارس والمراجع

١ — فهرس الكتاب

٢ — فهرس الأعـــلام*

* الرقم الكبير لما ورد فى أصل الديوان ، والصغير لما ورد فى الشرح والمقدمة ، وما بين قوسين لما فى الحواشى .

٣ — فهرس البلدان والأماكن

المراجـــع

أخبار أبي نواس للصولي . لجنة التأليف ١٣٥٦
أخبار أبي نواس لابن منظور . الاعتماد ١٣٤٣
أدب الكاتب لابن قتيبة . السلفية ١٣٤٦
الأضداد لابن الأنباري . الحسينية ١٣٢٥
الأغاني لأبي الفرج . الساسي ١٣٢٣
الأمالي للقالي . دار الكتب ١٣٤٤
بلوغ الأرب للألوسي . الرحمانية ١٣٤٢
تاج العروس للزبيدي . الخيرية ١٣٠٦
التنبيه والإشراف المسعودي. الصاوي ١٣٥٧
ثمار القلوب للثعالبي . الظاهر ١٣٢٦
خزانة الأدب للبغدادي . السلفية ١٣٤٧
ديوان البحتري . هندية ١٣٢٩
ديوان أبي تمام . بيروت ١٨٨٩ م
« . الوهبية ١٢٩٢
« « . محيي الدين الخياط ١٣٢٣
ديوان الحماسة . السعادة ١٣٣١
ديوان الفرزدق . الصاوي ١٣٥٤
الروض الأنف للسهيلي . الجمالية ١٣٣٢
شرح الشاطبية لابن القاصح . العامرة ١٣٠٤
شرح القصائد العشر للتبريزي . السلفية ١٣٤٣
شرح المفضليات للأنباري . بيروت ١٩٢٠م
شفاء الغليل للخفاجي . السعادة ١٣٢٥
غيث النفع للصفاقسي . العامرة ١٣٠٤
الفرق بين الفرق للبغدادي . المعارف ١٣٢٨
كتاب سيبويه . بولاق ١٣١٦
كشف الظنون لكاتب جلبي. الآستانة ١٣١٠
المخصص لابن سيده . بولاق ١٣١٨
المستطرف للأبشيهي . المعاهد ١٣٥٤
معجم البلدان لياقوت . السعادة ١٣٢٣
المعجم الفارسي الإنجليزي لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م
معجم الشعراء للمرزباني . القدسي ١٣٥٤
المعرب للجواليقي . دار الكتب ١٣٦١
مغني اللبيب لابن هشام . التقدم ١٣٤٨
الموازنة للآمدي . بيروت ١٣٣٢
نخب الذخائر لابن الأكفاني . العصرية ١٩٣٩م
هبة الأيام للبديعي . العلوم ١٣٥٢
همع الهوامع للسيوطي . السعادة ١٣٢٧
وفيات الأعيان لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠

١٩٤٢/٦/١/٧٦٥